

محمد جلال كشك

قيام وسقوط امبراطورية النفط ..

المقالات التي طلبت جهة « ما » وقف نشرها !

● الطبعة الأولى ●

● يناير ١٩٨٦ ●

[illegible][illegible]

— 100 —

00

●● ۱۰۰۰۰۰ :۰

إلى أبي در الغافل :

« أوصاني خليلي أن أقول الحق مهما يكن
مرا ... »

[illegible]

[illegible]

« .. خالدان حكما السعودية ، واحد أخرجه السعوديون من التاريخ ، والثاني سألت الله اللطف ، قبل أن يخرج هو السعوديين من التاريخ ! .. وكانت سنوات حكمه هي أسوأ ما مر بالعرب والإسلام منذ القرامطة ! .. »

[illegible]

ما كنت لأخاصم قريشا : وما كانت قريش لتهجوني أو تخلعني . ولكن « أحابيش »
قريش ظنت بالله الظنون فهرعوا كما قال شاعر قريش :
فالمادحون الجائعون تأهبوا
دعوى الوداد تجول فوق شفاههم
أما القلوب فجال فيها أشعبُ

والأحابيش والموالي إنما يحقدون علينا محبة قريش وما كتبناه وسنكتبه في الثناء على
قريش وما فضلها الله به على الأعراب والأعاجم والعلوج المستعربة .. فهي إحن بدرية
وثارات جاهلية كشفوا بها : ما كتموه في قلوبهم من الغيظ .. وهذا هو الفرق بين الحر
والعبد : فالحر إذا رضى شكر وأيد وتحمل غضب العالم كله دفاعا عن الموقف أو الحقيقة .
فإذا سخط أو أنكر فهو يهجر وينتقد ناصحا ومتحملا غضب الغاضب . ودهشة الجاهل
واتهام المريب المستريب ... أما العبد فكما قيل فيه قديما إذا جاع سرق وإذا شبع فسق ..
وهو في هذا الزمان يسرق ويفسق .. ولكنه أيضا يكتم حقه على سيده في قلبه فلا يؤمن قط
وإن سال لعبه مديحا وذلة ونفاقا ومبالغة في اظهار الولاء الكاذب .. وهو يحقد على كل من
يراه قريبا من سيده كغيرة الكلاب والقطط . وغيرته أشد وحقه أكبر على كل حرييني
محبه على القناعة . ويري الدين في النصيحة ..

وقد كان عمر رضي الله عنه يكره أن تستكثر قريش من الموالي . لما يعلمه من غشهم
ونفاقهم ، وكان ينهر الأمة التي تشبه بالحرمة العربية ، ويأمرها أن تكشف قناعها حتى
يعرف الناس قدرها ومن ثم يقدرون و يقيمون قولها وفعلها .. فما أبشع العبد ينطق باسم
السادة . وما أقبح العبد المستأجر يتحدث عن الشرف .. وما أبأس سادة يحاسبون على قول
وفعل مواليهم !

ولكنه الزمن الرديء جداً .. !!

ولو كان عمر حيا لأمرهم بخلع الفطرة وإعادة الجواز وأنزلهم منازلهم .. وما كنت لأدعو بدعوى الجاهلية لولا أن تعرض لي عمرو من الناس ذكرني بقول بشار في دعي مثله :

أرفق بعمر وإذا حركت نسبته ... فإنه عربي من قوارير

أي من زجاج .. عروبه هشة تقوم على ادعاء مكشوف .. اسمه وتاريخه يسخران من محاولته النطق باسم قريش . وادعاء النسبة اليهم . فهو من الموالي المتجنسين وصدق الشاعر أبو الفرج بن هند القائل :

وكم من قائل أنا من فلان ... وعند فلانة الخبر اليقين

وقد عيرني العبد أنني كاتب بالقطعة وأنا أشهر منه في بيته .. وهو لا يصل الى مستوى قارئ بالقطعة وقد اضطرت الجريدة التي تورطت فيه والتي يكتب هو وامثاله فيها بالهوية أي بموجب قانون الجنسية ! اضطرت الي تغليف الجريدة بأربع صفحات فأصبحت لأول مرة في التاريخ جريدة بظهرين مع الاعتذار لشكسبير .. لكي تخفي سوءة مقاله عن عين القارئ ... والذي كما قال ناقد خفيف الدم : إن القراء يستبشرون كل يوم بعنوان له هو « آخر الكلام ! » على أمل أن يصدق وعده فيكشف عن هذا الهراء الذي يستحي طالب بالابتدائية أن يكتبه ولكنه يحث ويكتب من جديد في اليوم التالي و يتبين أن العنوان إنما هو من ميراث السوق والسمرة والدلالة وفتح الكلام وآخر كلام وهات اللي تحببه .. الخ وما كان لثله أن يكتب لولا الزمن الرديء الذي وصفه نزار قباني فأبدع عندما قال :

في عهد زيت الكاز يطلب شاعر ثوبا وترفل في الحرير قحاب ..

والعالم العربي يحمل نفطه في خصيتيه وربك الوهاب ..

وقعبة الفكر التي ترفل في المقالات وتستكتب الأشراف في الثناء عليها أبشع من قعبة الجسد .. وما دام نزار قباني قد فتح هذه السيرة فلا بأس من تردد قول الشاعر :

قال الانام وقد رأوه مع الحداثة قد تصدر

من ذا المجاوز قدره ؟ ! ... قلت المقدم بالمؤخر ..

ورحم الله عبد الرحمن بن حاتم السلولي الذي عيره (نوكي) مثل هذا فرد عليه :

وكم قائل مالي رأيك راجلا ... فقلت من أجل أنك فارس

أما لماذا أنا راجل وانت كاتب عمود دائم ليس بالقطعة حتى ولو كان ذلك في صحف النفط وحدها فلأن أمي حرة المولد والوفاء . لو كانت أمي قد بيعت للحجاج فاستولدها سيدها ، أو عدة أسياد فغلب علي شبه « العفري » .. فسميت عبد الله العفري وسكنت

مكة وأصبحت من أحابيش قریش ومواليها .. ثم أفاء الله على قریش ما أفاء لأصبحت
مالكا لصحيفة أو حتى عدة صحف ولربما أصبحت وزيرا لا ابالي بقول سيد ساخط :
قالوا فلان قد وزر... فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب ... ليس يدور الا بالبقر

ومن يدري ربما لوفاض الفىء حتى طف وزاد وبلغ بلاد البرابرة .. من يدري ربما
منحوني جائزة «الامتاع» !!!

ولكن أمي حرة المولد لم تسترق ولم تستولد .. علمتني ألا أنتسب لغير أهلي وقومي ومن
أحمل اسمهم ودمهم .. والله قد أمر بدعوة الناس لآبائهم وعمر قد نهى أن ينتسب الرجل إلى
البلد الذي استوطنه بل إلى أهله وقومه .. فلو كنت من حضرموت أو الحج كما يشهد اسمي لما
ادعيت نسبا غير نسبي ونسب قومي اذ لا ينكر أصله إلا البغل كما يقول المثل الجزائري لأن
البغل ينجل من أبيه الحمار ويود لو أدرج في قائمة الخيول .. !

صاحبنا أصبح من قریش وتولى التعبير عنها بل الرد على الأئمة من قریش ! ورضي الله
عن أمير المؤمنين وسيد العرب بعد الرسول والصديق .. عندما أمر أبا سفيان فأطاعه سجد لله
شكرا وقال : « الحمد لله الذي جعل ابن الخطاب يأمر أبا سفيان في بطح مكة فيطيع » ..

والقياس مع الفارق الشديد والحمد لله قد أذهب أبو تمام عنا الحرج في ضرب المثل
بالأقل بل بما لا يقاس .. فهذا المولى لا يسجد لله شكرا اذ تطاول على ابن سيد قریش، وولي
نعمتها .. من به شرفت قریش واستقام أمرها وكان فيصلا بين عهد وعهد .. هذا المولى
المستورد هاجم ابن فيصل في ذات الجريدة التي يمكن القول بأن لحم أكتافها وأكتاف
المنتفعين بها من خير فيصل وأولاده .. هذا الدخيل يأكل من فء سيد قریش ويتطاول
على أولاده في « الصحيفة » ويقبض ثمن ذلك وصدق عبد المنعم الجيلاني :

قد يكرم القرد اعجابا بخسته وقد يهان لفرط النخوة السبع !!

مع أن من وصايا العرب لدوام الدول . واستقرار الحضارات ألا يسمع لخسيسها في رئيسها ..
وأن ينزله الناس منازلهم ..

ولسنا نصادر حق النقد أو نجعل شخصية عامة مهما كانت مكانتها فوق النقد ونحن في
زمن ينتقد فيه الصحابة والتابعون وزعماء التاريخ وصانعو الحضارات ومؤسسو الدول . ولكن
اعتراضنا على ما في هذا الموقف من خسة فالفتاة في خدرها تعلم أنه ما كان ليجرؤ على

كتابة ما كتب في « سمو الأمير » إلا وقد بصقوا في فيه وأمره فأتمر والجريدة ما كانت لتنشر إلا مأمورة فهذا هو الامتحان للكلمة .. أن يدعي الشجاعة وحرية الفكر، والناس تعلم أنه ما تطاول إلا لأنه يجلس على حجر المسئول ! وما اشتد ساعده إلا لأنهم أمسكوا به واستكتبوه ما كتب وإلا فتى انتقد اميرا مسئولاً .. هاتوا سطرا واحدا كتبه في أمير متنفذ فإن لم يفعل ولن يفعل فابصقوا عليه وعلى من منحه لقب كاتب وأجازه ليحيزه .. فذل وخاب الاثنان ..

وهذا بعض مانعته على قريش استكتاب مثل هؤلاء وتحريضهم على التطاول على بعض المغضوب عليهم ..

كننا مع المملكة الى حد بعيد فيما يتعلق بخلافها مع عبد الناصر إذ كنا ولا نزال نعتقد أن المسئولية الكبرى في هذا الخلاف يتحملها عبد الناصر .. كذلك كنا نتفهم بعض نفور المملكة من السادات وخاصة بعد كامب ديفيد وإن كان الأمر ليس بهذه البساطة .. والأمر ليس سوداء وبيضاء كما يدعي البعض .. إلا أننا رفضنا وبكل قوة موقف المملكة من مصر ورئيس مصر بعد وفاة السادات فليست هناك ادنى مسئولية من جانب مصر في استمرار التباعد ولا مبرر واحد للموقف السعودي .. وعلاقتنا الشخصية بالنظام المصري هي لم تتغير ما بين عهد وعهد . فلا نحن من المقربين ولا نحن من المبعدين ولا نحن من أنصار هذا أو ذاك وإنما لنا موقف واضح محدد ينبع من إيماننا بمصر ومصلحة مصر وما نقمنا على عبد الناصر خصامه للسعودية غضبة للسعودية . بل حرصا على مصلحة مصر التي أهدرت في هذا الخلاف ! لأننا كما قلنا ألف مرة وفي جميع الظروف نؤمن أن مصلحة مصر ومصلحة السعودية ومصلحة العروبة والاسلام تكمن في التحالف المصري السعودي ... وكل خير حققه العرب كان في ظل هذا التحالف وكل شرا أصابهم كانت بدايته ومدخله الشقاق المصري السعودي .

وبنفس القوة فإن موقفنا من السعودية لم يختلف لا يوم عرضنا أنفسنا لبطش غابرات عبد الناصر وارهاب جورج حبش ونحن نعيش في بيروت دفاعا عن مواقف صحيحة اقتنعنا بها في السياسة السعودية ولا عندما تطاولنا على الرئيس الراحل أنور السادات عندما سب السعوديين بدون مبرر ولا مصلحة مصرية كذلك لم يتغير موقفنا عندما انتقدنا سياسة السعودية في عهد الملك خالد ، تلك السياسة المستمرة حتى اليوم ، وهي سياسة معاداة مصر مجاملة وتقية للسوريين والارهابيين العرب . إننا نعتقد أن هذا الموقف ضد مصلحة السعودية ، ضد سياسة الملك عبدالعزيز ، ضد مبادئ فيصل ، ضد السياسة التقليدية لمجموعة آل فهد قبل أن يصيبها ما أصابها . ضد ارادة وقناعة الاغلبية العظمى من الأمراء والشعب السعودي وهي

أيضا ضد مصلحة العرب مدمرة للوجود السني في المنطقة ...

كان هذا في خاطري عندما بدأت أنشر مقالاتي عن قيام وانهيار امبراطورية النفط .. وما إن وصلنا الى المقال الخامس حتى هاجت الدنيا وإذا كنت أعرف الأسباب الحقيقية لهذه الغضببة سواء الصادق منها والمصطنع إلا أنني أحب أن أقول كلمة عن قبص عثمان الذي رفعه البعض وهو أنني هاجمت الملك خالد ..

يا سبحان الله ! هل بقى غلام في الاعلام العربي لم يهاجم عبد الناصر أو السادات .. هل الملك خالد أفضل منها ؟ وأقصى ما يقال دفاعا عنه أنه كان امعة . يملك ولا يحكم ولا رأي له ! وهل من مصيبة أكبر من ذلك ؟ ! أنني شديد الاقتناع أنه ما من نكبة أصابت السعودية وتركت نتائجها الوخيمة على العرب مثل تولية خالد الملك ! وقد كانت سنوات حكمه هي أسود ما مر بالعرب والاسلام منذ القرامطة ! في عهده توقف الطواف بالبيت وهو ما لم يحدث حتى عندما أغرقه الطوفان ، وفي عهده استبيح الحرم وكان قتال فيه كبير . في عهده وقع صلح بين بلد عربي واسرائيل ودخلت اسرائيل عاصمة عربية ونشبت الحرب بين بلدين اسلاميين .. الخ حتى قلت وقتها خالدان حكما السعودية واحد أخرجه السعوديون من التاريخ والثاني نسال الله اللطف قبل أن يخرج هو السعوديين من التاريخ !

كل هذا ينسى لأن الأمر يكان قرروا سلب العرب سلاح النفط فأعزوا لهم برفع السعر ، فتدفق المال وأصبح الحريري وأكرم عجه وعصام فارس وديفيد صنبر اصحاب ملايين في عهد خالد هذا ؟ .. أجهل وأسوأ من حكم في تاريخ العرب ؟ !

ثم هؤلاء الذين يبيحون لأنفسهم نقد كل ما يجري في مصر حتى عدم تعيين نائب للرئيس .. ؟ ! أو زواج حرم الرئيس الراحل ، أو التدخل في علاقة الأحزاب المصرية والموقف منها ، لماذا يرفضون حديث غير المواطن عن نظمهم .. هل بلغ من سوء ظنهم ببلادهم وسخطهم على حكومتهم حد اعتبار كل كلمة ثناء على أوطانهم أو على تاريخهم ، لابد أن تكون مأجورة .. أم هانت بلادهم عليهم وعلى العرب حتى أنهم لا يصدقون أن يهتم عربي بما يجري في بلادهم فيتقدم بنقد ونصيحة ؟ !

لا والله بلادهم أكرم علينا من ظنهم هذا ، ولانبالي بمن غضب أو اتهم فنحن لانكن للمملكة إلا المحبة والقناعة بأنهم أفضل الموجود وأن جذورهم وطنية لم تأت بهم مخابرات أجنبية .. فازلت أعتقد أن مصلحتهم هي في التحرر من النفوذ السوري الذي وصل درجة دفعت بعض الأمراء الى تسمية المملكة : « المملكة العربية السورية » ! .

ولهذا قررت إعادة نشر المقالات وإضافة الجزء الذي لم ينشر ..

وسابقى الصديق الصدوق للمملكة أحبها كثيرا ولذلك أحب لها أن تكون دائما مع مصر
فهما أدار المال الرؤوس ومهما غرر الشيطان ونفخ في أبواق الغرور فإن المملكة تفقد الكثير
والكثير جدا من وزنها إذا ما ابتعدت عن مصر.. بل هل أقول وأمنها..؟! كذلك مصر
يشل دورها العربي الى حد كبير إذا ما عزلت عن المملكة.. فن أجل مصر ومن أجل
السعودية ومن أجل العرب ومن أجل سنة رسول الله أضحي بكل مالي وما اهتمت به في
علاقتي مع السعودية وأنشر هذه الاعتراضات.. كذلك من واقع الحرص على النفط العربي
الذي في الدفاع عنه والدعوة لتحريره أفنيت شبابي ككاتب ومشتغل بالسياسة وتعرضت
أنا وجيلي ووطني للأهوال والضربات والمؤامرات والحروب والتجويع والتدمير. فلنسنا نبالغ
إن قلنا أن كل ما أصاب مصر في الثلاثين عاما الأخيرة هو بسبب النفط العربي ، لأن مصر
رفعت شعار نفط العرب للعرب . وكل ماجرى ويجري هو لتحطيم هذا الشعار..

ولأن مصر هي القوة الوحيدة القادرة على تشكيل وقيادة موقف عربي يجعل النفط
للعرب لا للعرب للنفط.. وفي هذه المقالات أردت أن أنبه دول النفط وبالذات السعودية
إلى أنه لا مخرج من أزمة النفط إلا بتعريبها . مواجهة أمريكا وبريطانيا وروسيا وإسرائيل
بقطر والكويت والشارقة... وأيضا أو لابس من ضم مصر والسودان والمغرب والجزائر..
الخ..!

وكما لم أهتم بتهمة النفاق فيما كتبت من قبل.. لا أهتم الآن بمن سياتهمنى بالعداء وأنا
أنشر كتابي هذا..

٣ ب بهجت على الزمالك

محمد جلال كشك

فتش عن كسينفر !!

» .. وخرج العرب بثلاثمائة مليار دولار
في خزائن أوروبا وأمريكا ، وأسهم في شركات
ومصانع هذه الدول .. وحفنة من السماسرة
يشكلون رموز الفساد الأكبر في تاريخ البشرية ..«

في يونيو ١٩٧٩ كتبت مقالا بعنوان : «نحو استراتيجية قومية نفطية» وكان العالم كله يخطب ود دول النفط ويتملقها أو يبايعها . وبعض الكتاب المحسوبين على مصر ، طرحوا نظرية انتهاء «الحقبة المصرية» وظهور الحقبة النفطية ، التي توجه وتقود وتقرر مصير الأمة العربية ! وبدأ أن كل القوى تريد لو استسلمت لهذا الانقلاب الخطير الذي جعل الأمة العربية تواجه العالم بمؤخرتها ! أو بأضعف حلقاتها ! ..

في هذا الوقت لم نرفض - وحدنا تقريرا - مجرد التسليم بانتقال القرار العربي الى دول النفط بحيث يقرر سياسة المائة وعشرين مليون عربي ، وزراء النفط في دول الخليج وليبيا ! بل رفضنا حتى أن تنفرد هذه الدول بتقرير سياسة النفط .. وقلنا بالحرف الواحد ، ومنذ هـ سنوات : «لأن النفط له آثاره العالمية ، والقومية ، فلا بد من استراتيجية عربية موحدة ، والغريب أن شعار «نفط العرب للعرب» كان في الخمسينيات والستينيات أعلى صوتا في دمشق وبيروت والقاهرة والخرطوم ، مع أن النفط كان قضية محلية وقتها ، فلما أصبح النفط هو أهم ورقة عربية ، وبدأ العالم كله يحاسب العرب عليه ، ويخطط ضد العرب ، أو في مواجهتهم ، أو الى جانبهم ، بسبب النفط ، إذ بالمشاركة العربية في سياسة النفط تنحسر وتشتد الحساسية ازاء أى محاولة للمساهمة في وضع استراتيجية عربية نفطية» وقلنا : «لم يعد من مصلحة أحد غياب المشاركة العربية في رسم الاستراتيجية النفطية ، لا بد من مؤسسات علمية واستراتيجية وسياسية وإعلامية على نطاق الوطن العربي ، تضم كل الكفاءات من الدول النفطية وغير النفطية لاعداد الدراسات التي توجه وتساهم في صنع القرار النفطي .. أليس عجيبا أن يجتمع الامريكيون واليابانيون والالمان والانجليز والطلليان والكنديون والفرنسيون للتنسيق في مواجهة النفط العربي ، بينما لم يعقد أى اجتماع عربي ولا جرى أى اتصال مع دولة عربية غير نفطية قبل اجتماع الاوبك ؟» بحروفه^١

(١) ولعل هذه السطور تؤكد استمرارية موقفنا وانه لا ينبع من أية مصلحة متغيرة أو وقتية ..

ولكنها كانت صيحة ذهبت مع الريح ، وطوتها أمواج الدولارات التي كانت تتدفق بغير حساب وتبدد بغير تدبير ، والتي أفقدت بعض المسؤولين وزهم فراحوا يتحدثون عن علاج الغرب أو أمريكا وأوروبا « بالصدمة » فقد صرح الشيخ « على الخليفة الصباح » وزير النفط الكويتي لجريدة « السياسة » أنه يعالج الغرب بصدمة الاسعار « لنجعل هذا العالم يفيق من غفوته » ! ..

ولا أظن أنه بعد ما ارتدت صدمة الاسعار في الاتجاه المضاد نحتاج الى تساؤل حول من الذى كان غارقا في غفوته ومن الذى كان متيقظا بكل حواس المقاتل ..

كذلك ذكرت الواشنطن بوست قراءها هذا الاسبوع بحديث أو نصيحة قدمها الشيخ أحمد زكى يماني للدول الصناعية ، منذ أربع سنوات نصحهم فيها ، بتغيير أنماط معيشتهم ، لكى يوفرُوا استهلاك النفط ، كما نصحهم بالبحث عن مصادر بديلة للطاقة ، وقد جعلت « الواشنطن بوست » عنوان كلمتها « لسوء حظه أنهم استجابوا لنصيحتهم » وقالت لعله يتمنى اليوم لو لم يقلها .. ولعلنا نتمنى اليوم ، لو أنه يستطيع نصيح الدول النفطية بنفس الحكمة ، فيغيرون من نمط معيشتهم و يبحثون عن مصادر بديلة للدخل !

باختصار لقد خاضت دول النفط معركة الانتاج والأسعار وخسرتها على طول الخط وهى تواجه الآن أخطر مأساة وأزمة حلت بها منذ اكتشاف النفط ، وهذه الأزمة لا تهدد دخولها فحسب ، بل تهدد استقرارها الاجتماعى ونظمها السياسية ، وبالتالي تهدد التركيبة العربية ، التي شئنا أو أبينا أصبحت قائمة على العنصر النفطي^٢ .

كل التحليلات تشير الى انهيار منظمة الأوبك ، أو على الأقل زوال السيطرة العربية على قراراتها ، فإن ثبات الاسعار ، إذا ما تحقق فسيكون بارادة الدول الكبرى .. وبقدر ما كانت حملة الحقد مستعرة خلال عقد ارتفاع الاسعار ، بدأت مع انهيار الأسعار حملة الشماتة في العرب الذين بدأوا مسيرة الافلاس المالى ، الى جانب افلاسهم السياسى والعسكرى والثقافى .. الخ .. خرج العرب من معركة النفط يحملون تهم الاسراف والطمع والفشل ...

عشر سنوات ربما يراها المؤرخون حاسمة في تاريخ الأمة العربية (من ١٩٧٣ الى ١٩٨٣) كان المواطن الأمريكى والاوروبى واليابانى يفطر ويتغذى ويتعشى ويتخلل ،

(٢) لاحظ اننا كتبنا هذا ونشرناه قبل عام من المؤتمر المزعوم الذى انعقد تحت شعار « عرب بلا نفط » ليحتر بعض افكارنا بلانهم ولا اخلاص !

بالحق الذي تفرزه أجهزة الاعلام ضد العرب ، لأنهم رفعوا سعر النفط من جانبهم ، فسبوا النكسة الاقتصادية العالمية ، ونزحوا ثروة العالم الصناعي ، ونشروا البطالة فيه ، وأنهوا ازدهار الستينيات . وألقوا دول العالم الثالث في ضائقة الديون ذات الفوائد الفادحة ، وأوقفوا التقدم في أكثر دوله .. وقالوا لهؤلاء إن المستفيد الوحيد من هذه الكارثة العالمية ، هم العرب وحدهم ، عبثوا بثروة العالم واقتصاده ورخائه وأمنه الاجتماعي ، مع أنهم لا ينتجون ولا يصنعون ولا يستهلكون هذا النفط ، بل مجرد مصادفة جيولوجية جعلتهم عند آبار النفط ، فهم يرفعون السعر لتغطية انفاقهم الاتلافي الفاضح ، ولابتزاز العالم سياسيا ، فيحصلون بالمال والنفط على ما عجزوا عن كسبه بالسلاح والرجال !

هكذا قالوا !!

عشر سنوات ، كان العربي يخوض فيها معركة استقلاله الوطني ضد الغزوة الصهيونية ، وكان الانسان العربي في أمس الحاجة الى دعم وتفهم الرأي العام العالمي ، فصورته الازمة النفطية بصورة المذنب الاول في قضية رفع الاسعار ، وجعلته العدو القومي والحضاري والديني للغرب الصناعي ، حتى ان مستشار الرئيس الامريكي كارتر ، دعا لتوحيد « الغرب » أو على الأقل « أمريكا » ضد العربي ، باعتباره العدو المقبول قوميا ! .. ووضعت الخطط ، وحشدت القوات ، وأطلقت الانذارات باحتلال دول النفط العربية ، اذا ما استمر العرب في جشعهم او استثمارهم لقوتهم المالية لتدمير الحضارة الغربية ، أو القضاء على اسرائيل .

الصورة المشجعة المشرقة المثيرة للاحترام أو حتى العطف ، التي صنعها العرب ، عرب الدم في أكتوبر ١٩٧٣ انقلبت الى صورة كرهية ، فلم يحدث أن كان العربي هدفا لحملة حقد وتشهير وكراهية واحتقار واستغلال كما حدث خلال عقد النفط هذا ! ..

وانتهى هذا العقد بأكبر هزيمة سياسية وعسكرية ووطنية للعرب ، وأكبر اتساع امبراطوري حقيقته دولة في عشر سنوات ، بالنسبة الى تعداد اسرائيل وحجمها ! ..

خلال عقد النفط .. فازت اسرائيل بالصلح مع مصر وطابا ، وضم القدس والجولان وثلاثين ألف مستوطن في الضفة ، واحتلت عاصمة عربية لأول مرة ودخلت في مفاوضات مباشرة مع لبنان ، واشتركت وربما يقول البعض انفردت بتعيين رئيس دولة عربية ، وضربت المفاعل الذري للعراق ، وأعلنت « الفيتو » ضد أي نشاط ذري عربي .. واستنزفت العراق وايران ودول الخليج في حرب كان هدفها الأول ابقاء الاسعار مرتفعة بتخفيض حجم انتاج النفط المتاح في الاسواق ..

وخرج العرب بثلاثمائة مليار دولار في خزائن أوروبا وأمريكا ، وأسهم في شركات ومصانع هذه الدول ، وحفنة من السماسرة يشكلون رموز الفساد الأكبر في تاريخ البشرية كلها !

وغرق العالم في فائض النفط ، وبدأت كما قلنا - مرحلة الشماتة في العرب ، العاجزين عن تكوين احتكار فعال ، بل الذين لم يشكلوا يوماً احتكاراً حقيقياً ، والذين لا يملكون تحديد السعر لا اليوم ولا بالأمس ، والذين امتلكوا يوماً امكانية اقتصادية ومالية ، فبددوها وخرجوا مفلسين ! قالت صحيفة أمريكية : « يستطيع الرئيس ريفان أن يدخل التاريخ بوصفه الرجل الذي جرد الاوبك من سلاح النفط ، وأعاد استقلال أمريكا الحرارى ، وحطم قوة العرب المالية التى استخدمت للضغط على أمريكا وابتزاز أوروبا واليابان ، وادانة اسرائيل » (باتريك بوشانان ٤ مارس ١٩٨٣ وشنتن بوست) .

المهم انه خلال حملة الشماتة ، وكما هي العادة بعد ما يهزم العدو ، وتنتهى الحاجة الى التعبئة ضده ، ظهرت الحقائق ، وتبين أن العرب لم يرفعوا السعر ، بل الشركات أو المصالح الغربية الكبرى ، وبالذات مخططي السياسة العليا في الولايات المتحدة وبريطانيا ، هم الذين خططوا وفرضوا رفع السعر ، وأجبروا العرب عليه ، ثم تركوهم لغرائزهم وطبيعة نظمهم فاندفعوا في الطريق المرسوم لهم !

فقد ذكر صراحة أن كسينغر (ومن غيره ؟) مستشار نيكسون ووزير خارجيته - وحامى اسرائيل وعدو العرب رقم واحد ، هو الذى كان خلف قرار الاوبك الأول برفع الاسعار ، وقد زعمت صحيفة « شيكاغو تريبيون » أن هدف كسينغر كان زيادة دخل شاه ايران ليتمكن من تحقيق برنامج التسليح الذى يجعل منه شرطي أمريكا في الخليج » (١٩٨٣ / ٣ / ٢) . وهذا بالطبع تفسير ساذج أو مضلل ، فهناك أسباب أعمق وأخطر من مجرد الرغبة في تمويل الشاه . وتصريف السلاح الأمريكى وزيادة الارصدة الإيرانية في بنك تشيس مانهاتن وعلاقة كسينغره معروفة .. وسنتعرض لذلك بالتفصيل ..

المهم أن كاتب هذه السطور كان في فيينا خلال اجتماع الاوبك (اكتوبر ١٩٧٣) وهمس لى الدكتور مانع سعيد العتيبة وزير نفط دولة الامارات ضاحكاً « : حاجة غريبة ! الشركات هي التى تعرضنا على رفع السعر من جانب واحد » ! ..

وكانت هذه الحقيقة قد بدأت تتردد منذ ظهرت « فوائد » ارتفاع الاسعار على الوضع « الحرارى » في الغرب . ولكن الجديد الذى نشر لأول مرة هو اعتراض العرب على رفع السعر !

فقد ذكر جاك أندرسون - المعلق الأمريكي المتخصص حالياً في نشر وثائق المخابرات الأمريكية - أنه «لوترك النفط لقانون العرض والطلب، لما ظهرت أزمة نفطية، فالفائض الذي يفرق السوق حالياً، بدد أحلام الصحراويين (عرب الصحراء) في احتكار النفط، واليكم حقيقة ما حدث: كان «نيكسون» وزير خارجيته «هنري كيسنجر» يريد أن يحمي الشاه الخليج الفارسي، الذي يعتبر مصدر النفط الرئيسي للعالم الصناعي. وأصر الشاه على أن هذه المهمة تحتاج إلى برنامج تسليح ضخمة، لم يكن دافع الضرائب الأمريكي في مزاج ملائم لتمويله، خاصة بعد حرب فيتنام، ولا تشير الوثائق السرية - الكلام لا يزال لاندرسون - إلى من كان صاحب فكرة رفع السعر، ولكن الثابت أن الشاه بدأ فجأة، يرغب في ويزبد من أجل رفع أسعار النفط دون أي اعتراض من البيت الأبيض، وقد أدت إثارة الشاه وتواطؤ نيكسون إلى ارتفاع الأسعار في أوائل السبعينيات».

ثم ننتقل إلى الجزء الأكثر إثارة في تقرير اندرسون إذ يقول: «وقد سجلت المخابرات الأمريكية سرا أن الشاه هو القائد البارز في معركة رفع أسعار الأوبك، أما السعودية، التي خشي حكامها الحذرون، صداماً مع احتكارات النفط، فقد عرضوا أن يتدخلوا لمنع رفع الأسعار، ولكنهم كانوا غير راغبين في الوقوف وحدهم ضد الدول الأخرى البائعة للنفط، كما فسرت المخابرات الأمريكية في تقرير بالغ السرية، قالت فيه بالحرف الواحد: «من غير المحتمل أن يغامر السعوديون بالتعرض للعزلة، وتحطيم الأوبك. وكان «وليم سيمون» وزير المالية - في عهد نيكسون - هو أشد الجميع ثورة على هذا الموقف، بحكم أنه لم يكن مطلعاً على التدبيرات السرية مع الشاه، ففي مذكرة ملتهبة كتبها إلى البيت الأبيض قال: «إن الشاه ليس فقط هو القوة المحركة خلف رفع الأسعار في منظمة الأوبك، بل أنه يطرح حججاً اقتصادية زائفة يجب ألا تمر دون رد.» وقال سيمون في تقريره الذي نشره جاكسون لأول مرة: «إن العائلة المالكة السعودية، أخبرته شخصياً، أن المملكة ستضغط على الأوبك لخفض السعر ولكنهم يحتاجون إلى تدخل الولايات المتحدة لتغيير موقف الشاه، وتساءلوا.. هل حقاً تريدون - أي الأمريكيان - أسعاراً منخفضة؟ ولماذا إذن لم تثيروا هذا الموضوع قط في محادثاتكم مع الشاه»؟!

ويختتم جاكسون تقريره بقوله: «كان نيكسون يستطيع أن يمنع تحول ميزان القوى لصالح المشيخات في الشرق الأوسط، ولكنه لم يحرك ساكناً، ثم أفلت الأمر».

وخلاصة التقرير:

١ - إن القيادة الأمريكية في أضيق نطاق (وزير المالية نفسه لم يكن يدري شيئاً)

هي التي اتخذت قرار رفع أسعار النفط واستخدمت الشاه وغيره قبله (٢١)

٢- العرب وبالذات دول الخليج بقيادة المملكة لم يرفعوا سعر النفط ، بل ادركت المملكة على الفور خطورة اللعبة التي تطبخ ، وشمّت رائحة الأُصْبَعِ الامر يَكِي ، واستطاعت تسجيل الموقف تاريخيا على الامر يكان ، انهم هم الذين أرادوا رفع السعر ، وهذا يرجع الى طبيعة الوضع النفطي السعودي ، كما سنشرح فهي المتضرر الأول من انهيار سوق النفط ، ويمكن القول أن السياسة النفطية للمملكة كانت في جملتها صحيحة ، ولكنها افتقرت في هذه السنوات بالذات الى القدرة على فرض ، أو حتى طرح هذه السياسة مما سنشرحه بالتفصيل ..

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

«.. ولو نجحت خطة الملك عبدالعزيز وأصبحت شركات النفط شركات مساهمة يمتلك المواطنون حصة بارزة من أسهمها.. لعجل ذلك بظهور رأسمالية عربية، وربما كانت المشاركة الشعبية قد تحققت منذ زمن بعيد..»

[illegible]

اذا كنا نبحث عن خطة انقاذ للمأزق العربي الذى وصلنا اليه عبر بحر النفط ، فلا بد أن نبدأ بالمصارحة ولو كانت مؤلمة ، فلا علاج لمتاعب الحاضر ، ولا ضمانة للمستقبل أفضل من معرفة أو الاعتراف بأخطاء الماضي . ولقد قامت منظمة الدول المصدرة للنفط « اوبك » منذ اللحظة الاولى بهدف واحد هو منع تعريب النفط ، اسقاط القرار العربي من دائرة النفط .. تحطيم شعار « نفط العرب للعرب » .. وتفصيل ذلك هو الآتى :

في الثلاثينيات فى بدايتها على وجه التحديد ، وفي ظل الهيمنة الاستعمارية الانجلو فرنسية المطلقة على العالم العربي ، والحكم البريطانى المباشر لمشيخات الخليج ، طرحت الامبريالية البريطانية المفهوم الاقليمي الضيق للنفط ، وايضا أو وأهم ، الصيغه الخاصة لملكيتها ، باعتباره ملكية خاصة للشيخ حاكم المشيخة وعائلته ! لا ملكية الشعب ولا حتى الدولة بمفهومها الحديث ، وكان هذا يلائم تمام الملاءمة المصالح الاستعمارية ، والمتمثلة فى شركات النفط ، والتي تمكنت فى ظل هذا المفهوم من عقد اتفاقيات نهب صريحة للفظ والدلالة أخذ فيها النفط بلا ثمن تقريبا ، حيث كانت حصة البلد العربي هى الأقل من بين جميع الاطراف التى تتقاسم برميل النفط ، كانت الضريبة التى تحصلها الحكومة البريطانية على شركة النفط العاملة فى العراق أو قطر أو الكويت اكبر من حصة الحكومة العراقية أو شيخ الكويت .. وما كان ذلك ليتم الا فى ظل السلطة المطلقة للانجليز من خلال الشيخ الحاكم ، وفي ظل غياب المعرفة فضلا عن المحاسبة على أى مستوى ، ولا حتى داخل البلاط .. وما كان ذلك ليتم الا بحصر النفط فى كيانات تتميز بضآلة حجم السكان والتخلف الشديد ، مما جعل هذه النسبة الهزيلة من عائدات النفط التى تحصل عليها المشيخة تبدو ثروة هائلة ، ونعمة هبطت من سماء الاستعمار بغير حساب ! .. ولو كانت فى بلدان طبيعية ، لظهرت فداحة الغبن ، واضحة ...

ولعله يجدر أن نشير هنا الى أن الملك عبدالعزيز الذى لاشك فى عبقريته ، وايضا فى

احساسه الواعي بخطورة التغلغل الذي كانت تمثله شركات النفط ، قد حاول محاولة هي الاولى من نوعها ، وهي أيضا مجهولة لم يأت لها ذكر في أى تاريخ للرجل ، ولا أى مصدر الى أن نقلتها مجلة الحرس الوطنى عن كتاب « رسائل الى ولدى » فقد تبين من الوثيقة المنشورة ، وهي أمر من عبد العزيز الى حكام الاقاليم يطرح فيه على الشعب تملك اسهم أول شركة للنفط جرت محاولة تأسيسها في المملكة قبل قدوم الامريكان .. وبالطبع لم تنجح المحاولة . وقامت ارامكو على الطريقة الكويتية .. ولا أحد يستطيع المبالغة في النتائج الممكنة لونجحت محاولة عبد العزيز وأصبحت شركات النفط شركات مساهمة يمتلك المواطنون حصة بارزة من أسهمها الى جانب حصة الدولة ، وحصة الطرف الاجنبي .. كان ذلك سيعجل بظهور رأسمالية عربية ، وسيخلق وعيا ومشاركة وطنية في قضية النفط ، وسيحتم علانية الانتاج والاسعار وتوزيع الدخل ، وبالتالي ربما كانت المشاركة الشعبية أو حديث « ارم ذات العماد » قد تحققت منذ زمن بعيد ..

ولم يكن من الممكن حصر عائد النفط في الشيخ واسرته ، وإن استمرت لهم حصة الاسد الى يومنا هذا ، ولكن المال تسرب ، بطريقة أو بأخرى الى الطبقة المحيطة بقصر « الشيوخ » .. وقد حرص الشيوخ على اكتشاف صيغة تنفي أية مظنة في الاعتراف بحق مشروع للاهالي في النفط أو عائداته ، فكان انتقال الثروة من خلال شراء الاراضي بأسعار خرافية ، أو من خلال العطايا والهبات ، أو السماح بالاختلاس من المشروعات العامة .. أو الحصول على نوكيل استيراد يعطى صاحبه عمولة على كل ما يباع في المشيخة دون أى جهد .. وتطور ذلك مع تطور الدخول ، وتطور الانفاق حتى ظهرت طبقة السماسرة المليارديرات ، واغلبهم ليسوا من مواطني المشيخة ، وبعضهم ليس حتى من المسلمين^١ .

بل ليس سرا أن أكثر من ثمانين بالمائة من سلاح ومصفوفات « الكتائب » جاءت من دول النفط وعبر هؤلاء السماسرة والمستشارين .. ولا نريد أن نطيل في هذه النقطة الآن ، المهم انه اذا كان النفط العربي لم يستخدم يوما كسلاح حقيقى في المعركة ، معركة التحرر ومواجهة اسرائيل ، فإنه يمكن القول بكل اطمئنان انه استخدم وبنسبة كبيرة في العمل المضاد لقوى التحرر . وفي ذبح المسلمين والفلسطينيين في لبنان .

حكاية الأوبك

ولنرجع قليلا الى الوراء .. ففي الخمسينيات ، كانت الأمة العربية تخوض معركة التحرر من الاستعمارين البريطانى والفرنسي ، وطرح شعار الوحدة العربية ، كوسيلة لزيادة

(١) تخيل أن مسيحيا لبنانيا يتقاضى عمولة والى الابد عن كل جهاز تليفون يركب في منزل سعودي وعن كل سنترال جديد يقام في قرية سعودية .. والى الأبد ! ..

القدرة على التحرر، وكنتيجة حتمية ومنطقية لما ساد هذا الجيل من اعتقاد بوحدة الدم واللغة والوطن .. وان هذه العوامل وحدها تحتم التواجد في دولة واحدة .. وفي هذا الوقت بالذات اتجه الفكر القومي الى النفط، وكان هذا منطلقا طبيعيا ومتوقعا، فالوحدة ليست شعاراً لتدريـب الحناجر، ولا مجرد راية ترفع وهتاف يطلق، بل هي أولا وأخيراً وحدة الموارد والامكانيات .. وكان النفط في نهاية الخمسينيات، هو اكبر رهينة في يد الاستعمار، والرمز الذي يتحقق بالسيطرة عليه مضمون التحرر العربي ..

وقد جاء التحرك دفاعيا، ففي عام ١٩٥٩ انتهزت شركات النفط نكسة الوضع العربي بانقسام عبدالكريم قاسم، وتدهور علاقات الجمهورية العربية المتحدة (مصر + سوريا) مع العرب ومع الاتحاد السوفيتي، وقامت هذه الشركات بخفض سعر النفط بنسبة عشرة بالمائة بقرار منفرد من جانبها، فأصبح سعر البرميل دولارا واحدا وستين سنتا ! .. ولم يكن هذا القرار ليمر بهدوء، في عنفوان «صوت العرب» وبادرت القاهرة فدعت الى المؤتمر العربي الاول للنفط، الذي انعقد في القاهرة في ابريل ١٩٥٩، وحضره ما يقرب من خمسمائة مندوب تحت شعار: «بترول العرب للعرب» ..

وكان أول وآخر مظاهرة «عربية» نفطية، وكعادة مؤتمرات العرب، كان حافلا بالخطب والبيانات والشعارات، وايضا الدراسات حول الاسعار والاتفاقيات، ومقارنة الحصص .. واذا كنا قد كتبنا اكثر من مرة عن أهمية اقتراح المرحوم «أميل البستاني» (الذي اغتالته الشركات الامريكية) الذي طرحه في ذلك المؤتمر، وهو أن تخصص الدول العربية النفطية نسبة خمسة بالمائة من دخلها تنفق على تنمية الدول العربية غير النفطية، وكان اقتراحا ثوريا يقلب خريطة المنطقة، ويطرح مبدأ المشاركة الاخوية العربية، وبالطبع تصدت لهزمته كل القوى المعادية، ولكن تحت شعار يساري. كما هي العادة، فعملاء اسرائيل الذين يريدون استمرار احتلالها للقدس والضفة الغربية، لا يقولون ذلك صراحة، بل يرفضون تحرير الضفة لأنهم لا يقبلون أقل من تحرير فلسطين بأكملها ! وهكذا تصدوا لأميل البستاني، تحت شعار أن اقتراحه مؤامرة استعمارية لمواجهة مطلب التأميم ! سقط اقتراحه وتأخر التأميم عشرين سنة، بل جاء بضغط الشركات ورغبتها في تصفية وجودها الظاهر ! ..

الا أن اهم نتائج المؤتمر الأول للبترول العربي، هو مجرد انعقاده : تعريب قضية النفط، جعلها اهتماما عربيا، بمعنى اسقاط الاقليمية، وتحطيم حصارها داخل الكيانات الهزيلة، مواجهة الشركات بالمائة مليون عربي ..

وجاء الرد سريعاً وواضح الهدف — وهو اسقاط عروبة النفط .. اخراجه نهائياً من دائرة القرار العربي ، نقل هذا القرار الى منظمة لا تحمل حتى اسماً عربياً ، بل لفظة لاتينية (أوبك) ولا تقتصر عضويتها على العرب ، ولا حتى يتمتع العرب فيها لاكثر من عشر سنوات تالية بالمركز القيادي . وهكذا كان مؤتمر النفط العربي في ابريل ١٩٥٩ وكان اجتماع بغداد عند عبد الكريم قاسم عدو عبد الناصر وقائد الحملة ضد عروبة القاهرة في سبتمبر ١٩٦٠. واعلنت منظمة الاوبك التي اشترط لعضويتها أن تكون الدولة من الدول المصدرة للنفط ليست مجرد منتجة فقط لابعاد مصر التي كانت تنتج وقتها كميات بسيطة !

وكانت الدول المؤسسة هي : ايران — العراق — فنزويلا — الكويت — السعودية — وباستثناء — فنزويلا ، كانت هذه الدول على علاقة غير طيبة مع عبد الناصر ومصر وهكذا ولدت منظمة الاوبك .

وصحيح ان الثقل العربي قد زاد داخل المنظمة خلال العشرين عاماً الماضية ، وصحيح أن «الأوبك» استطاعت أن تحقق في النهاية ، أو فرض عليها التأمين ، وأنها بدت في اواخر حياتها في صورة المدافع عن العالم الثالث في معركة الخامات والاسعار ضد العالم الصناعي .. الا أن اهم انجاز حققته الأوبك ، هو اسقاط عروبة النفط ، وبقدر ما زاد ثقل النفط في السياسة العربية ، بقدر ما ضعفت المشاركة العربية في صنع هذا القرار أصبح القرار في النفط العربي ، يصدر من اندونيسيا وايران وفنزويلا ..! وبدلاً من محاولة القوميين العرب في الستينيات توظيف النفط لصالح الامة العربية ، واخضاع السياسة النفطية للقيادة العربية الشرعية ممثلة في مجموع الامة العربية ، جرى العكس ، وهو اخضاع هذه القيادة لنفوذ النفط^٢ .. وقد تحقق ذلك بعدة عوامل مساعدة .

١ — انهيار القيادة الطبيعية ، بالهزيمة العسكرية في حرب ١٩٦٧ وبالاغلاس الاقتصادي ، فحتى بداية الستينيات كان الذهب المصري يصارع عن جدارة الذهب النفطي في بورصة بيروت السياسية ، وكان الرئيس المصري يستطيع السخريه من اتهامه بالطمع في النفط قائلًا أن ميزانية السعودية اقل من ميزانية احدى وزاراته .. أما في السبعينيات فقد أصبح مستحيلاً على مصر وسوريا تجنب الاغلاس بدون مساعدة الدول النفطية .

٢ — النزيف البشري والسياسي الذي تعرضت له المراكز القيادية التقليدية ، حيث

(٢) لاحظ انه ما من كاتب ناصري ولا بعثي ولا قومي ولا يساري قد سبقنا الى هذا القول ، ولا نظن أن جهلهم وصل الى هذا الحد ، ولكن النفط يفقد الحواس القدرة على التعبير . محمد الله على سلامة حواسنا .

جرت تصفيات واسعة للمؤسسات السياسية والثقافية ، وأضطهد المثقفون أو هاجروا ، وتقلص دور الصحافة والجامعات والنقابات ، وفي نفس الوقت تضاعفت ثروة المجموعة النفطية . ومع هزيمة « المبادئ » أو الفجيرة فيها ، انتصر منطق المال ، « وعقلانية » الاعتدال ! .. أما اصحاب المبادئ ، فقد وجدوا العزاء في التمسك بالاسلام النفطى ، بدلا من عروبة العسكر المنهزمين .. وقد ساعد على ذلك بروز « فيصل » كنموذج للعرب المتطهرين .. الأغنياء ! ..

وقد جرت محاولة اخيرة لاستعادة القيادة الطبيعية لمكانها على رأس الأمة العربية ، وذلك في حرب رمضان^٣ التى شنتها مصر وسوريا ... ولكن تم سحق هذه المحاولة بقسوة ووحشية وكفاءة ، وخرجت القيادة ، تماما ، من المراكز البشرية والحضارية والعسكرية ، الى المجموعة النفطية ابتداء من هذا التاريخ والى بداية الثمانينيات .. وتوج ذلك باخراج مصر تماما من القرار العربى بالكامب دافيد ، وان كان الرئيس السادات لم يفته تبرير قراره المنفرد بأنه لا يستشار فى قرار النفط العربى فلماذا يستشير هو فى قرار الدم المصرى ! ... وقد ساعد على تحقيق هذا الانقلاب ، الانفجار المالى الذى غمر خزائن دول النفط بمعدلات لم يسبق لها مثيل فعميت العيون وخرست اللسان ..

ويمكن القول أنه كان من بين اهداف « كسينجر » ومخططة السياسة العليا لامريكا ، نقل القيادة الى المجموعة النفطية ، التى مهما قيل عن اخلاصها ، وهى فى غالبيتها قيادات وطنية ، الا انها محدودة القدرة على صعيد المواجهة العربية - الاسرائيلية ، أو على صعيد المواجهة مع العالم الصناعى ، وصراعات النفط .. (مجموع سكان ٣ امارات خليجية لا يزيد على تعداد الطلبة الجامعيين فى مصر وسوريا !) .

وهكذا كان هذا العقد الذى يتحدث محرر شيكاغو تريبيون عن عار التاريخ وهو يسجل « سيطرة حفنة من الدول الفقيرة المغطاة بالرمال على اقتصاد العالم » ! ..

وهذا بالطبع من بقايا حملة التشهير بالعرب ، فالحقيقة ان هذه الدول لم تسيطر لحظة واحدة على اقتصاد العالم ، بل سيطرت على القرار العربى ، بل ان شئنا الدقة « عطلت » القرار العربى ، والحق ان هذه الدول لم تكن فقط الاقل قدرة على ممارسة تلك المهمة ، بل والاقل رغبة فى ممارستها ، بل وحاولت جاهدة أن تتفادى هذه المهمة تاركة « للاخوة » حرية الممارسة ، مستعدة دائما للدعم بما تملك ، ومن هنا ظهر تعبير دبلوماسى « دفتر

(٣) العقيد القذافى يسميها « مؤامرة » رمضان التى جرت مصر سوريا ليبيا ! ! وكاتب يقول ان هزيمة الاسرائيليين فى المرحلة الاولى كان متفقا عليها ! ..

الشيكات» . وصحيح ان هذه الدبلوماسية لم تحل ، ولا كان لها أن تحل مشكلة واحدة من مشكلات العالم العربي ، ولكن الذين يعتبون على النفطيين العرب انهم لم يفرضوا سياستهم بقوة المال . يخطئون فهم دور المال . فالولايات المتحدة لا تفرض سياستها على الدول التي تنال دعماً أمريكياً بقوة المال ، أو حتى تحت ضغط الحاجة الى هذا الدعم ، بل بالقدرة الأمريكية المتعددة الجوانب ، حتى يمكن القول ان الطاعة والانضباط يسبقان تقديم الدعم وليس العكس .

ودول النفط العربي ، لاسباب بشرية وتاريخية وجغرافية ، تفتقر للقدرات المؤثرة ، ومن ثم أصبح مالها عبئاً عليها ، وجعلها فريسة للابتزاز ، أصبح دعمها اشبه بالجزية ، يجب ان تقدمه عن يد وتشكر من يتفضل بالحصول عليه ! لم يضعها المال ابداً في مركز القدرة على التأثير ، ونفس الشيء بالنسبة للمدخرات والاستثمارات في اسواق اوروبا وأمريكا ، فرغم كل ما قيل عن قوتها وتحكمها وتأثيراتها ، تبين انها في الحقيقة « رهينة » في يد أمريكا وأوروبا ، ونقطة ضعف يمكن ان تضغط بها أمريكا وأوروبا وليس العكس ! ..

المهم دبر « كسينغر » قلب الوضع العربي بحيث تصبح اضعف الاطراف في المواجهة ، وتراجع القوة العربية الطبيعية الى الخلف ، وبشر عملاء « كسينغر » بظهور « الحقبة النفطية » للترويج لهذا المفهوم .. مع ان الحقيقة التي يعرفها السعوديون وكل الشرفاء في دول النفط ، انهم لا يمكن أن يؤثروا في العمل العربي الا من خلال مصر وبالتضامن مع مصر ، هذه هي الحقيقة التي آمن بها الملك عبد العزيز رغم كل سوء العلاقات بينه وبين الملك فؤاد ، وآخر وصايا الملك عبد العزيز لاولاده هي التضامن دائماً وابداً مع مصر .. كذلك يمكن القول أنه منذ الأربعينيات في هذا القرن اكتشفت مصر انها وحدها تستطيع ان تشكل قوة فعالة في العالم العربي ، ولكن بدون التحالف مع السعودية لا يمكن انجاز عمل عربي بناء ، دلت على ذلك تجارب قيام الجامعة العربية ، والتبني العربي لقضية فلسطين ، والانجاز الناجح لتحرير سوريا ولبنان والمغرب وتونس والجزائر وليبيا والغاء الارتباط الاردني - البريطاني .. وهزيمة نوري السعيد وحلف بغداد .. وتؤكد هذه الحقيقة ايضا السلبات التي نزلت بالأمة العربية ، عندما تفترق مصر عن السعودية .. ابتداء من حرب اليمن الى هزيمة ١٩٦٧ .. عندما استطاع فيصل أن يسمو فوق كل الانفعالات ويعيد الالتحام المصري - السعودي . ولكن الذي كان يخطط في الاتجاه المضاد ، ما كان ليصبر على قيادة « فيصل » فكان أن اغتيل في ظروف عجيبة لاتكاد تصدق .. وانهار التضامن العربي ، ووصل الوضع العربي الى اسوأ مرحلة في تاريخه .

الفعل لأمريكا والسب للعرب !

« ... وتعهد الملك فيصل بتلبية حاجة أمريكا
من النفط مقابل الضغط على إسرائيل ، للجلاء
عن الأراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ وقد أهمل
نيكسون رسالة الملك ثلاثة شهور ،
ثم رد بالرفض ! »

قلنا في الحلقات السابقة أنه بعدما تحققت الاهداف المرجوة من رفع اسعار النفط بدأت المصادر الغربية - كماداتها - تكشف الحقائق ، وتعلن ان هذا الرفع كان خطة امريكية بالدرجة الأولى ، وبريطانية الى حد كبير ، ومن أهم المصادر التي نشرت حول هذا الموضوع كتاب «جاك اندرسون» المعلق الأمريكى الشهير بتخصصه في نشر وثائق المخابرات الامريكية ، وهو في هذا الكتاب كماداته يحاول اخفاء الاهداف الحقيقية للسياسة الامريكية في قضية اسعار النفط ويرجعها الى الخطأ أو اللامبالاة ! ولكن المهم في الكتاب ، بل في كل ما ينشره «أندرسون» هو الوثائق لا التحليلات ولا الاستنتاجات .. ووثائق الكتاب كما سنرى تثبت بشكل قاطع ، ان حكومة نيكسون ارادت ونفذت الانفجار النفطي الذي ترتبت عليه كل الظواهر التي عرفها العالم في السبعينيات ، والتي افضت الى ماتعانيه دول الاوبك والعالم العربي ، وماستعانيه في العقدين الحالي والقادم . وتؤكد هذه الوثائق أيضا أن «هنرى كسينغر» لاغيره كان المصمم والمنفذ والمباشر في هذه العملية ، أو الانقلاب الذي سيترك بصماته على الواقع العربي لعشرات السنين .. والذي يسميه بعض المغفلين أعظم ثورة !!

يقول أندرسون في كتابه الذى سماه «فياسكو» أو «النصبة» : «أن أزمة النفط كانت اكذوبة ولكن الاقتناع بها كان أقوى من الحقيقة ، فقد جعل الناس يقبلون السعر الجديد» .. ويقول انه عندما وصل الرئيس نيكسون الى الحكم كان سعر برميل النفط دولارا واحدا وخرج من الحكم وسعر البرميل ١٢ دولارا .. وينقل عن هنرى كسينغر انه عندما طلبت منه الشركات التدخل لمنع رفع السعر رفض ورد بالتالى :

«ان ارتفاع سعر الطاقة سيؤثر اساسا على اوروبا واليابان ، وربما يقوى هذا قدرة الولايات المتحدة على منافستها . وان اتخاذ قرارا لمجابهة ، يعنى اجراءات تكشف في

الدخل لدعم الاقتصاد الاوروبى ، وهو موقف صعب جداً في بلد ممزق بسبب حرب فيتنام وكذلك فإن شركات النفط لخطب ود الدول المنتجة ، قد تضغط على الحكومة الامريكية للتدخل في الصراع العربي - الاسرائيلي ، وهو ضد سياستنا في الحد من النفوذ السوفيتى ، وكذلك فإن سياسة المواجهة قد تضعف علاقة امريكا مع العرب » وقدم كسينجر مذكرة الى نيكسون ينصح فيها بتدخل الحكومة ولكن لتلين موقف الشركات وجعلها تستجيب لمطلب رفع السعر ! (ص ٢٦٤) .

ومن هذا النص نستشف اهداف امريكا التي سنشرحها اكثر ، وهى : رفع السعر لصالح الاقتصاد الامريكى لأنه يرهق اقتصاد المزاكين ، اوروبا واليابان .. وايضا رغبة كسينجر في الغاء ورقة النفط العربي في تحديد الموقف الامريكى من اسرائيل ..

ويروى « جاك اندرسون » قصة النفط كما كان الوضع في الستينيات ، حيث كانت الشقيقات السبع ، (وهى خمس شركات امريكية وشركتان بريطانيتان) تسيطران على تجارة النفط في العالم غير الشيوعى ، ومن خلال الدعم غير المحدود من جانب الحكومتين الامريكيتين والبريطانية ، واحتكار هذه الشركات للنفط انتاجا ونقلًا وتسويقًا ، كانت تسيطر على السعر ، بل وأهم من ذلك كانت تخضع الدول المنتجة لارادتها ومصالحها .. وذلك من خلال العصا والجزرة ، مكافأة الحكومة المتعاونة بزيادة الانتاج وكشف آبار جديدة ، ومعاقبة العصاى بخفض الانتاج وتقليل موارده ، فإن تحول الى متمرّد ، جرى تجويعه وحصاره ، وفى كثير من الاحيان تصفيته إما بالاغتيال أو انقلاب أو حتى ثورة ، وقد ظلت شركات النفط تتبادل الثورات في المكسيك ، حتى طفق الكيل بالمكسيكيين فأعموا النفط فى ١٩٣٨ ، وكانت المكسيك ولا تزال من اغنى دول العالم في مصادر النفط ولكن الاحتكارات عاقبتها بالانسحاب ، واختفت المكسيك من عالم النفط أربعين سنة ، حتى ارتفعت الاسعار واحتاجوا لها فاكشفوا النفط « فجأة » وعادت تصدر دول العالم انتاجا وتصديرًا !

وخلال الفترة التى كان الملك سعود والطريقى يستمتعان فيها بترديد شعارات الناصرية ، وخاصة شعار « نفط العرب للعرب » تجمد انتاج السعودية فلم يسجل زيادة تذكر من ١٩٥٥ الى ١٩٦٤ فلما جاء الملك فيصل واليماني بسياسة التعاون مع الشركات ، والتصدى « للتيارات الهدامة » بدأ الإنتاج يرتفع بمعدل ٥ % حتى وصل الى ١٨ % فى السنة ، فيما عرف بعد ذلك « بأعجب مرحلة فى الكشف وزيادة الانتاج فى تاريخ النفط كله » (ص ١٥) !

وعندما أمم مصدق نفط إيران ، حاصروه ومنعوه من بيع النفط حتى افلست إيران ، ورفعوا انتاج الكويت والسعودية والعراق ، فلما أطاحت به المحابر الأمريكية ، واعادت الشاه ، رفعوا انتاج إيران حتى فاق الكويت وتساوى مع السعودية ، وعندما نزع عبد الكريم قاسم الاراضي غير المستغلة من الشركات ، خفضوا انتاجه الى مليون ب/ي (ب/ي = برميل يوميا) حتى انصاعوا واعادوا الاراضي للشركات عام ١٩٦٧ فارتفع الانتاج .

كانت هذه الشركات السبع (اكسون - تكساكو - موبيل - ستاندر كاليفورنيا - غلف - بريتش بتروليم - شل) تسيطر على تسعين بالمائة من النفط المتداول في الاسواق العالمية .. واذا لم تنجح ضغوطها المالية ، فإن الاساطيل والمحابر تعاونها ..

وبعد اغلاق قناة السويس عام ١٩٥٦ اتجه العمل فورا لايجاد مصادر نفطية لاوربا بعيدة عن السياسة المصرية ، والمعروف أن الشركات تعرف اماكن النفط ، ولكنها لا تخرجه الا في ضوء الاعتبارات الاستراتيجية ، وفي ١٩٥٥ كان في ليبيا بئر استكشاف واحد وحيد يتيم ، وفي ١٩٥٩ أصبح الرقم ٣٤٣ بئراً .. وفي ١٩٦١ بدأت ليبيا تصدر عشرين الف ب/ي وصل عام ١٩٦٦ الى مليون ونصف مليون ب/ي وماحقته الشركات في ليبيا في خمس سنوات ، لضرب تأثير مصر على نفط شرق السويس (قناة السويس ، والزعامة العربية) احتاجت السعودية الى عشرين سنة لتحقيقه (انتاج ١,٥ مليون ب/ي) .. فلما اغلقت قناة السويس مرة ثانية في حرب ١٩٦٧ ، وبدأ الحديث عن استخدام النفط في النزاع العربي - الاسرائيلي ارتفع انتاج ليبيا الى ٢,٦ مليون ب/ي ١٩٦٨ ثم ٣,١ مليون ب/ي عام ١٩٦٩ ..

ويقول اندرسون في ١٩٦٠ كانت اوروبا تستورد ٧٢% من نفطها من دول الشرق الاوسط الخاضعة لعواصف عبد الناصر وفي نهاية الستينيات هبط ذلك الى ٤٨% وحلت محل هذه الدول ليبيا والجزائر .. ولاحظ أن ليبيا كانت ملكية رجعية ، والجزائر جمهورية ثورية ، وكلاهما على عدا مع مصر عبد الناصر ، الأولى لأن مصر يسارية والثانية لأن مصر رجعية ، وستلاحظ أيضا أن ليبيا ستصبح ثورية والجزائر أكثر اعتدالا ولكن الموقف لن يتغير ، اعنى الجفوة مع مصر وتمسك البلدين ؛ ليبيا والجزائر باغلاق قناة السويس . ليبيا عام ١٩٦٠ كانت تصدر أربعة بالمائة من استهلاك اوروبا فأصبحت في ١٩٦٩ تصدر ٤١% .. (واحد وأربعين) .

ولكن النظام السنوسي اثبت عجزه عن تنفيذ مهمة قطع جناح مصر ، وتحجيم تأثيرها في النفط وسياساته ، فهو أولا واجه اضرابا عماليا خطيرا احتل فيه المضربون المتعاطفون مع

مصر مواقع النفط ، وكذلك أصدر البرلمان الليبي قرارات « ثورية » ومؤيدة لمصر كما استجاب الملك السنوسي للضغط العربي والاسلامية فانضم الى جبهة الدعم التي قامت في مؤتمر الخرطوم لدعم مصر وتعويضها عن اغلاق القناة ، كذلك أصبحت ليبيا المورد الأول في التبرعات لحركة فتح .. يضاف الى ذلك كبر سن الملك وتحرك اكثر من جهة لوراثته ..

وفجأة ! ..

وقع انقلاب الفاتح من سبتمبر .. وكانت كلمة السر « فلسطين لنا » .. وقررت حكومة الثورة منع التبرع لفتح ، وفرضت بدلا منها « ضريبة جهاد » انفق جانبها الاكبر في تصفية فتح واخراج الفلسطينيين من شمال لبنان بالحديد والنار ، كما كان اول اجراء لحكومة الثورة هو محاكمة وزير الاعلام السابق لأنه سمح « لام كلثوم » بإقامة حفل غناء في ليبيا لصالح المجهود الحربي المصري ! ..

وكانت سيدة الغناء العربي ، وبنت مصر الخالدة ، قد خرجت تغني للعرب لكي يتبرعوا للمقاتل المصري ، الذي حملوه وحده شرف القضية ، وضنوا عليه حتى بالنقوط لأم كلثوم !!

المهم يروى « أندرسون » كيف فاجأت الحكومة الامريكية ، الاصدقاء ، بدعمها « للشوار » في ليبيا ، وكيف افضت المخابرات الامريكية لمجلس الثورة بتفاصيل أول وربما اخطر انقلاب دبر ضد القذافي ، كما يقول أن « المخابرات الامريكية تدخلت ثلاث مرات لمنع المتآمرين على القذافي من الوصول الى ليبيا » (انظر الصفحات من ٢٠٤ الى ٢١٥) .

وهذا لايهمنا ، فكل الدول العربية « في الهم شرق » ولكن المهم تتبع ذلك في قصة النفط .. ففي ١٩٦٩ لم تكن هناك بوادر أزمة نفطية ولا أى اساس للهستيريا التي ستجتاح العالم بعد ذلك ، ولا كانت الشركات في أى مزاج للتساهل مع الدول المنتجة ، وقد حاول نظام السنوسي ، بكل رصيده المزعوم عند الامريكان ، رفع حصته عشرة سنتات في البرميل ، فرفض مجرد الحديث في طلبه ، وبعد شهر ليس إلا ، جاء « الثوار » وطلبوا ٤٤ سنتا في البرميل ، وفوجئت الشركات بمستشار النفط في البيت الابيض « جيمس ايكنز » يضغط عليهم ويقول ان ٤٤ سنتا مطلب معقول وعادل ، ويجدر بالشركات الا تثير الليبيين وتجعلهم يشعرون بالغبن ! بل وتدخلت الحكومة الامريكية لاقتناع الشركات البريطانية العاملة في ليبيا بالموافقة ويقول اندرسون بالحرف : « ان الشركات التي اعتادت أن تنظر الى حكومة الولايات المتحدة كشريك وركن حصين تأوى اليه في الشدائد ، جن جنونها ،

وهي ترى الحكومة الامر يكية تدعم موقف خصمهم في المطالبة برفع السعر بنسبة الثلث ، وفجأة وبعد عشر سنوات من انخفاض السعر الحقيقي وثبات السعر المعلن ، وهكذا فقدت وزارة الخارجية ثقة الشركات ، كذلك ادهشهم عدم اهتمام المسؤولين بنتائج ذلك على السوق العالمي وحتمية مطالبة الدول الاخرى وخاصة ايران بالمثل ..

وهكذا اعلن العقيد في اول احتفال للثورة بتحقيق اكبر زيادة تحققت في عالم النفط منذ عام ١٩٥٠ عندما فجرت ارامكوسوق الخليج ضد الشركات البريطانية باعلان مبدأ المناصفة ..

ونحن نؤيد ما يقوله « اندرسون » عن مفاجأة الشركات ، فهذه كما قلنا كانت سياسة عليا جدا ، كذلك فإن الشركات لا تستطيع اقناع مساهمها بالمصالح الاستراتيجية العليا برفع السعر أى زيادة ما تدفعه وبالتالي نقص ارباحه (او هذا ما يفهمه المساهم العادى) ولذلك كان الافضل ان يأتى ذلك الاجراء من جانب الدولة وفى صيغة فرض على الشركات ..

وقد حاولت الشركات العالمية كلها بما فيها الفرنسية والاسبانية توحيد موقفها من الاوبك فى ما عرف باسم مجموعة لندن ، ولكن كسينغر رفض تأييدهم وعلل ذلك بما اشرنا اليه فى بداية الحديث .. بل وزاد على ذلك بأن ارسل « جون اردين » وكيل الخارجية الامريكية للشاه بحرضه على المطالبة بالمثل ، فأكد له ان الحكومة الامريكية لا تتدخل فى المفاوضات بين ايران والشركات ، « ولم يكفه ذلك بل ابلغ الشاه ان الحكومة الامريكية نصحت الشركات بالتعقل والمهاودة ، وان الشركات استجابت فعلا » بل ويزعم ان مندوب كسينغر أو عز للشاه الذى لا يفهم بالاشارة ، بالسلاح المطلوب ، اذ توسل اليه الا يقطع النفط اذا تعثرت المفاوضات لأن ذلك يهدد أوروبا واليابان ، والرئيس نيكسون « يرجو » الا يقع ذلك » ويضيف مؤلف كتاب « النصبه » « أن هذا هو السبب الذى جعل الشاه يهدد لأول مرة فى حياته بقطع النفط ! » كما يذكر ان السفير الامريكي فى طهران كان يضغط على الشركات لرفع السعر .

نرجع للوراء قليلا

فى مارس ١٩٦٩ كان الشاه فى جنازة ايزنهاور ، وهناك عرض على الولايات المتحدة ان يعقد معها ماسمى بصفقة القرن ، وهى مليون برميل يوميا لمدة عشرة اعوام بسعر ثابت هو دولار واحد لاغير !! فرفض اقتراحه !! .. وفى هذا الوقت كانت تكلفة برميل النفط فى الخليج عشرة سنتات ، وكان الاحتياطى الثابت يكفى العالم ٧٤ سنة اذا لم تكتشف نقطة نفط جديدة ! ..

وفي ١٩٧٠ تم الاتفاق بين الاوبك التي يتزعمها الشاه وشركات النفط على رفع دخل دول المنظمة تدريجياً من ٤,٤ مليار دولار حتى يصل الى ٧,٥ بليون عام ١٩٧٥ وبدأ أن الوضع قد استقر، فقد وعدت دول الخليج انها لن تتقدم بمطالب جديدة لمدة خمس سنوات، وقال اموز يغاروز ير نفط ايران ان الدعم يطفر من عينيه، وقال مزاحم الباجهجي، سكرتير اوبك «لقد انتهت المشاكل بين الدول المنتجة والشركات». وتحدث الشيخ اليماني عن الزواج الكاثوليكي بين الشركات والدول المنتجة.

وقال الملك فيصل للشيخ اليماني: «نحن لا نريد أن تفقد شركات النفط دورها كوسيط بين المنتجين والمستهلكين، نريد للصيغة الحاضرة ان تستمر اطول وقت ممكن، وان نتجنب أى تناقض عنيف، او تعارض بين المصالح يمكن أن يؤدي الى زعزعة صناعة النفط» (ص ١٦١).

ولكن العزيز كسينغر ومخططي السياسة الامريكية - البريطانية كانت لهم وجهة نظر مخالفة تماماً، يمكن أن نلخصها في الآتي:

١- في حرب ١٩٦٧ ثم ١٩٧٣ اتضح خطورة استمرار الغرب في الاعتماد بصفة اساسية على النفط العربي، لعدة اعتبارات منها الخلاف العربي مع الغرب حول اسرائيل، ومنها عدم استقرار الاوضاع في الشرق الاوسط. ولم يكن ليغيب عن بال دهاقنة الغرب الصناعي، مغزى طوابير السيارات التي وقفت في انتظار البترول والشتاء القارس الذي تعرضت له اوروبا وامريكا، وتعطل المصانع، والغاء الكثير من مظاهر الحياة المترفة التي تميز الحياة في الغرب.. مما جعل العربي يمتلأ بالزهو فيثرثر عن السيطرة على الغرب واخضاعه وهو يتجشأ ويسكى الغرب في خارات اوروبا وامريكا. ومن هنا كان التخطيط لتقليل الاعتماد على النفط العربي، تقليل نسبة هذا النفط في اسواق العالم الصناعي.. بالحد من استهلاك النفط، وخلق البدائل عن النفط، وعن النفط العربي بالذات.. وقد تحقق ذلك برفع السعر، لأن ارتفاع السعر جعل من الممكن الاستثمار المربح لنفط بحر الشمال (بريطانيا والنرويج) الذي كان جاهزاً للنزول للأسواق في انتظار ارتفاع سعر نفط العرب ونيجيريا.. وكذلك غاز الاسكا وكندا، وبالمصادفة كانت اثلنتك ريتشفيلد، وهمبل اويل. وبريتش بتروليم قد أعلنت في فبراير ١٩٦٩ عن خطة لنقل نفط الاسكا الى كاليفورنيا بتكلف مليار دولار يوم كانت أوقية الذهب بخمسة وثلاثين دولاراً، وقبل دولارات سوق المناخ، وكان من المستحيل تصور هذا المشروع اذا ما استمر النفط العربي يصل الى كاليفورنيا بأقل من دولارين أو حتى بعشرة دولارات كما كان المتوقع في

السبعينيات . ونفس الشيء عن نفط المكسيك ، وبعض الآبار التي كانت قد أهملت في أمريكا . ومعروف اليوم ان هبوط سعر النفط عن عشرين دولاراً سيؤدي الى وقف الانتاج في بحر الشمال ، والاسكا والمنطقة المتجمدة في كندا ، وقد تتعرض المكسيك ومجموعة بنوك امريكية للافلاس . ومن المتوقع ان تتدخل الدول الكبرى لمنع العرب من خفض سعر نفطهم الى ابعد من الحد المطلوب ، وقال « بول لويس » انه يتوقع أن تشكل الدول الصناعية كارتلا (احتكارا) يمنع خفض السعر عن خمسة وعشرين دولاراً (نيويورك تايمز ١٩٨٣/١/٣٠) والاسلوب الذي يمكن ان يستخدم لمنع العرب من خفض السعر ، هو ما قاله صراحة رئيس اتلانتك ريتشفيلد ، التي تستثمر حقل « كوباردك » في الاسكا والذي يتوقع ان ينتج ربع مليون ب / ي عام ١٩٨٦ ، عندما سأله ماذا ستفعل اذا انخفض سعر النفط عن خمسة وعشرين دولاراً فقال : نغري دويلة من تلك الدويلات الصحراوية التي لا أعرف اسماءها فتحارب الاخرى ، وبذلك ينقطع نفطها معا عن السوق ، ويرتفع السعر !^١ .

وقد هبطت فعلا حصة دول الأوبك في الانتاج العالمي من ٤٦ بالمائة الى ٢٦ % بعدما كانت السعودية هي المصدر الاول للسوق الامريكية اصبحت الرابعة وهبطت صادراتها من ٢ مليون ب / ي سنة ١٩٨٠ الى ٤٠٠ الف ب / ي (لأمريكا) كما هبط مجموع صادرات الاوبك لأمريكا من ٥٠ % من مجموع وارداتها الى اقل من ثلاثين بالمائة . ونقول دراسة امريكية انه لو انخفض انتاج دول الخليج الى النصف فإن السوق العالمية لن تتأثر ..

كذلك ادى ارتفاع السعر الى اتجاه الاستثمارات الى مصادر الطاقة البديلة والى تعديل وسائل الانتاج واساليب الحياة ، لخفض الاعتماد على النفط ، وهو ما كانت السعودية تحذر منه ، ولكن قد اسمعت لونا ديت حيا كما سنشرح . المهم انه قبل رفع الاسعار كان الطلب على النفط يزيد بمعدل مرتين ونصف على معدل نمو الانتاج العالمي ، فإذا به ينخفض حتى عن مسايرة هذا المعدل ، فقد زاد انتاج الدول الصناعية بنسبة عشرين بالمائة من ١٩٧٣ الى ١٩٨٤ وهبط استخدام النفط بنسبة ١١ % . فقد انخفضت نسبة الطاقة المطلوبة لانتاج وحدة انتاجية = دولار بنسبة ٢.٢ % وكذلك نشط استخدام الطاقات البديلة ، فأصبحت فرنسا مثلاً تعتمد على الطاقة الذرية بنسبة ٤٠ % من مجموع الطاقة التي تستهلكها ، وزاد في أمريكا

(١) يمكن القول أن احد اسباب الحرب العراقية - الإيرانية هو هذا الهدف .. اعني خفض الانتاج المطروح في السوق من نفط او بيك ، وربما كان هذا الهدف هو اهم عامل في استمرار الحرب وتصعيدها وخاصة في مناطق النفط ، ولكن اذا زادت السعودية انتاجها وبدأت حرب الاسعار فعلياً أن نستعد لكارثة نفطية في بلد عربي غير إيران والعراق لخفض النفط العربي المطروح والدولة المرشحة هي الكويت ، ولكن هل توافق بريطانيا ؟ ! هذا هو السؤال الذي سيجاب عليه في لقاء القمة الامريكي - الروسي .

استخدام الفحم بنسبة ١٨٪ بينما هبط استخدام النفط بنسبة ١٤٪، وهبط استهلاك المنزل الأمريكى من الطاقة بنسبة عشرين بالمائة، وهبطت مساهمة النفط في مصادر الطاقة العالمية من ٥٤٪ الى ٤٤٪ والعالم الآن يحتاج الى عشرة ملايين ب/ى أقل مما كان يحتاجه عام ١٩٧٩.

وهبطت واردات أمريكا من النفط من ٨,٤ مليون ب/ى عام ١٩٧٨ الى أقل من خمسة ملايين ب/ى الآن. وهبطت فاتورة النفط المستورد بحوالى ١٧ ألف مليون دولار. وكانت التوقعات في السبعينيات ان العالم سيحتاج الى عشرين مليون ب/ى من السعودية في نهاية الثمانينيات، واقام مندوبو المراسم السعودية مكتبا دائما في مطار الرياض لاستقبال وفود المسؤولين الأمريكيين الذين تتابعوا لحث السعودية على الاستثمار في انتاج النفط والنقل استعدادا لانتاج وتصدير هذه الكمية الهائلة.. والآن يضيق العالم بثلاثة ملايين ب/ى هي كل انتاج السعودية^٢.. وانقطع سيل المسؤولين الأمريكيين، بينما تتابع تصريحاتهم وتحليلاتهم لنتائج «إفلاس» السعودية المالى.. «اذا تبخرت ثروة السعودية، فقد تذهب معها العائلة المالكة» (باليتمورسن) «انتهى عصر العرب» (نيو يورك تايمز).

إذا فقد اعيد تشكيل اقتصاد العالم، على نحو ازال الامكانية التى كانت قائمة قبل عام ١٩٧٣ وهى تصاعد استهلاك النفط، وتزايد نسبة النفط العربى في السوق، وبالتالي ازدياد حصة العرب مالا ونفوذاً.. تحظمت هذه الامكانية، وحل محلها وضع مضاد تماما، ليس فقط تضائل حجم النفط العربى في السوق العالمية، بل ارتهان استقرار الدول العربية النفطية باستمرار الدول الصناعية في استيراد نفطها. واصبحت بورصة نيو يورك هى التى تحدد سعر النفط الحقيقى!

٢- الى جانب تحطيم سلاح النفط العربى، فإن الولايات المتحدة كانت الراح الاول من رفع سعر النفط، فالاستثمارات الامريكية لها نصيب الأسد في نفط الاسكا والمكسيك وكندا، والعالم يشتري النفط بالدولار فكلما زاد حجم المدفوع ثمننا للنفط كلمت زاد الطلب على الدولار فارتفع سعره عالميا، وكلنا نذكر أن الدولار كان في أضعف اوضاعه في مطلع السبعينيات، وكان تراجع امام الين والمارك مثار تعليقات شتى، فإذا به اليوم اقوى عملة، ويتجاوز ثلاثة ماركات.. وفي عام ١٩٨٤ كان سعر تبادل فوق سعره الحقيقى بما يزيد على الثلث. كذلك فإن أمريكا هي اقل الدول الصناعية اعتمادا على النفط المستورد، وبالتالي فقد حدث ما اشار اليه كسينغر، وانكش التقدم الياباني والاماني، وضعفت منافستها للصناعة الامريكية، لولا العيوب الجذرية في هذه الصناعة. كذلك حققت شركات

(٢) وقت اعداد الكتاب للنشر انخفض الرقم (رسميا) الى مليونى ب/ى.

النفط الامريكية ارباحا مذهلة تقرب من خمسة اضعاف حجمها في عام ١٩٧٣ مما جعل الحكومة الامريكية تسميها « ارباح عاصفة » !

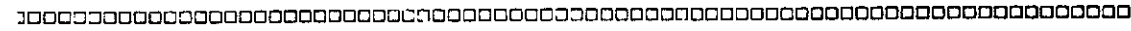
٣- وهنا نأتى للبعد اليهودى في المخطط ، وهو ما جاء في كلام كسينغر الذى اشرنا اليه في أول هذه الحلقة ، عن دور الشركات النفطية في الضغط على الحكومة الامريكية لتخفيف انحيازها الفاضح لاسرائيل ، وكان الملك فيصل واعيا بهذه الامكانية عندما اعطى تعليماته لوزير نفطه بالحرص على استمرار الارتباط مع الشركات ، وفي السبعينيات ألقى الملك بكل ثقله وراء هذا العامل ، ففي ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢ أعلن اليماني فحوى رسالة بعث بها الملك الى الحكومة الامريكية ، لدعم مفاوضات السادات - كسينغر ، عبر كمال أدهم ، تعهد الملك بأن ترفع السعودية انتاجها الى عشرين مليون ب/ى فى عام ١٩٨٠ بما يكفي لتغطية توقعات الطلب فى الدول الصناعية ، وتعهد بتلبية احتياجات الولايات المتحدة بسعر ثابت حتى لو وصل طلبها الى ٨ ملايين ب/ى كما كان شائعا .. وذلك مقابل الضغط على اسرائيل للجللاء عن الاراضي المحتلة فى حرب ١٩٦٧ واعطاء تسهيلات تجارية للسعودية ومشاركة فى تسويق وتصنيع النفط ، وقد أهمل نيكسون رسالة الملك ثلاثة شهور ثم رد بالرفض ! ..

وعقب اجتماع بين الملك والسادات استدعى الملك ممثلى شركات النفط الى قصره في جنيف (١٩٧٣/٥/٢٣) وطلب منهم ابلاغ الحكومة الامريكية انه ما لم يتغير موقفها فإن المصالح الامريكية في السعودية لن تكون آمنة ، ومن ثم لابد من اجراء قبل خسارة كل شىء ...

وقد بادرت الشركات بنشر اعلان في الصحف ، وارسال رسائل خاصة للمساهمين تطالبهم بدعوة الحكومة الى اتخاذ موقف متوازن بين العرب واسرائيل . واجتمع ممثلو الشركات بالمستولين الأمريكيين في الخارجية والدفاع والبيت الابيض ، لابلغه بانذار أو تحذير فيصل ، ولكنهم لم يبالوا ، وقالوا ان فيصل يهوش ، وليس هناك أى خطر .. وعندما قامت حرب أكتوبر ، ووضع كسينغر الولايات المتحدة بأكملها في معسكرات الجيش الاسرائيلى .. سلم « جون مكلوى » رسالة مكتوبة الى الكسندر هيغ بالبيت الابيض يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ تتضمن مذكرة موقعة من رؤساء الشركات الامريكية الاربعة المكونة لارامكو تحذر من قطع النفط اذا استمر الدعم الامريكى لاسرائيل .. وقال معلق : « ان الشركات التى كانت توجه حكومات الدول العربية لمصلحة الولايات المتحدة ، تحاول الآن التأثير على وشنطن لحساب الدول النفطية » .

وكان لابد أن يعمل انصار اسرائيل على الغاء تلك العلاقة بين الشركات والدول العربية، أو اكتشاف صيغة جديدة، تخفيها، وتجرد المواطن العربي من متعة المطالبة بضرب المصالح النفطية، وقد تحقق ذلك تحت شعار التأمين، فنالت الشركات مبالغ خرافية ثمنا لحقوقها، واختفت من الصورة، واصبح النفط عربيا، وضربه يعنى تخريب الاقتصاد الوطنى...!!





« .. فتحصل الواحدة منهن على حصة من مال النفط العربى ، حصة تفوق حصة الجيش الثالث المحاصر فى السويس ، بل تفوق ما يلزم لتحرير الجولان أو مادفع لأرامل شهداء الثورة الفلسطينية .. »



قلنا إن المخطط الأمريكى لتحطيم ورقة النفط العربى ، قد نجح نجاحا باهرا فى إعادة تشكيل الاقتصاد واسلوب الحياة ، ونوعية الطاقة المستخدمة واسلوب استخدامها . وتوزيع انتاج النفط فى العالم ، على نحو أضعف ، إن لم نقل الغى تأثير النفط العربى على القرار السياسى فى دول الغرب الصناعية ، كذلك استهدف المخطط الغاء دور شركات النفط كصوت يطالب باعتدال السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، لحماية استثمارات وارباح هذه الشركات ، وقلنا ان هذا المخطط قد نجح بشكل مذهل ، فقد اختفت الشركات وراء ماسمى بتأميم النفط ، بينما تضاعفت ارباحها من النفط العربى فهى التى تنتجه وتصدره وتسوقه مقابل أجر لحساب المالك العربى !! ووجهت الشركات التعويضات الهائلة التى حصلت عليها من العرب ، لاستثمار موارد جديدة تقلل الحاجة الى النفط العربى (خلال ٣ سنوات فقط من ١٩٧٣ الى ١٩٧٦ زادت الثلاثون شركة نفط كبرى فى امريكا استثماراتها بنسبة ٨٥ ٪) ..

كذلك ادى ارتفاع الاسعار والثراء العربى ، والحملة الهيستيرية ضدهما (تأمل استاذ الاقتصاد فى جامعة ماسوشستس للتكنولوجيا لا يستحي من القول : « صدمتان للنفط فى السبعينيات دمرت رخاء الديمقراطيات الصناعية ») !.. فى هذا الجو تحققت نتيجة جد مفيدة لاسرائيل وانصارها وجد مضره مدمرة للمصالح العربيه ، الا وهى افساد المناخ الذى كان قد تجمع عالميا ، وافريقيا بالذات منذ هزيمة ١٩٦٧ ووصل الذروة ببطولات المصريين (الافريقين) فى حرب رمضان . زالت صورة جالوت العربى العاجز المفتى والمعتدى ، وصورة اسرائيل داود ، الصغيرة الراغبة فى السلام ، والمضطرة للقتال ببسالة للدفاع عن نفسها ! وأصبح الرأى العام بعد ١٩٦٧ مقتنعا بتفوق اسرائيل العسكرى ، وتخلفها خلقيا . ونواياها التوسعية . وصحيح ان العطف على العرب ، ظل فيما بين هزيمة يونيو وحرب اكتوبر ممتزجا بالشفقة ان لم نقل بالاحتقار ، الا أن هذا المناخ زال تماما بعد العبور وخطوات

السلام التي عرضها المصريون . وخلال تلك الفترة قطعت كل الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل ، وامكن عقد وقيام المؤتمر الاسلامي ، ولكن « جاء النفط » فلطخ العبور ، بفضل الاشارة المدبرة ضد « الجشع » العربي والنسفه العربي ، وقضايا الطلاق المنتشرة في محاكم أوروبا وامريكا ، وما تردد فيها من ارقام فلكية عن ثروات السماسرة والنصابين والقوادين ، وتحكم المحاكم بنصفها لاشباه العاهرات ، فتحصل الواحدة منهن على حصة من مال النفط العربي — كما سيسجل التاريخ الجنسي للعرب — حصة تفوق حصة الجيش الثالث المحاصر في السويس ، بل تفوق ما يلزم لتحرير الجولان أو مادفع وسيدفع لجميع أرامل شهداء الثورة الفلسطينية !

ماذا يفكر الزعيم أو الحاكم الافريقي الذي يرى شعبه يموت جوعا ، لان ارتفاع اسعار النفط — كما يقال له — أكل عائد نصف صادراته ، والذي يعرف ان مائة مليون دولار يمكن ان تنقذ مئات الألوف من شعبه ، عندما يسمع ان فتاة تعمل في محل بريطاني ، حكم لها بثلاثة آلاف مليون دولار مؤخر صداق أو حصتها من ثروة زوج عربي سابق .. لا أمير ولا وزير ولا تاجر ولا شيء البتة .. بينما مجموع ميزانية وزارة الدفاع الاسرائيلية هو خمسة آلاف مليون دولار؟! وثروة المحروس ستة وامامها تسعة اصفار!! وهذا الثابت في المحاكم .. او ان مجموع رصيد بريطانيا من العملة الصعبة اقل من مجموع ثروة مهدي التاجر وعدنان خاشقجي^١!! .

هل نلوم الافريقيين والاسيويين اذا تحولت اجتماعاتهم مع المسؤولين العرب الى قضية واحدة هي : كم تدفعون لنا من هذا المال السائب مقابل دعم المواقف العربية في الأمم المتحدة؟ وهل نلومهم وقد اصبح الناطق باسم العرب ، لا يحمل من المؤهلات الادفتر الشيكات ، وتراجع الى الظل العرب اصحاب التاريخ والعلاقات مع الاسيويين والافريقيين؟!

وعندما تضيع جامعة « جورجتاون » جاهلين بلامؤهلات أبعد من التوجيهية في مجلس احدى اقسامها ، فإنها لا تطلب كمؤهل الادفتر الشيكات ، والتأكد من حملها جواز نفطي والقدرة على التوقيع على الشيك ، ثم تستمر هذه الجامعات بالمال العربي في محاربة الاسلام والعروبة .

ومهما دفع هؤلاء العرب ، وقد دفعوا اكثر من اية مجموعة اخرى في تاريخ العلاقات بين الاغنياء والفقراء ، فلم يخرجوا مشكورين ، لأن الاعلام المعادي والصيغة النفطية العربية وتصرفاتهم المالية ، أو فضائحهم المالية ، ونوعية العناصر الطافحة على وجه النفط العربي ،

(١) احتياطي بريطانيا في سبتمبر ١٩٨٥ هو ١٨ مليار دولار امريكي .

والمستحدثة باسم هذه الثروة^٢، كل هذا أعطى صورة خرافية و بشعة عن ثراء غير محدود وغير مكتسب، يمتلكه من لا يستحقه، ولا يحسن التصرف فيه، وبعضه — تقول الدعاية المعادية — من دم الشعوب الفقيرة الذين يشترون النفط بأسعار العرب المطففين !

انتشر الحقد بين العربي الغنى، والعربي الفقير، حتى ان الملك الحسن خرج عن كبريائه مرة، ليشتكو في مؤتمر صحفي من شح الاشقاء الذين لم يدفعوا له حتى ثمن النفط الذى استهلكته النجدة المغربية في حرب رمضان، مع أن المغرب هي التى قاتلت وحدها على الجبهتين، وبمسالة.. والحق أن نهضة المغرب قد اصببت بالشلل بسبب حرب الصحراء وارتفاع اسعار النفط، وقد غمره عرب النفط بحبهم لا بما لهم. ولم يكد عقد النفط يشرف على الانتهاء (١٩٧٣ - ١٩٨٣) حتى كان العرب داخل الاوبك ضد الدول الاسلامية (ايران + نيجيريا + اندونيسيا) والعرب ينقسمون الى مجموعتين: المعتدلين والمتطرفين.. وحتى كانت الدول الافريقية تستأنف علاقاتها مع اسرائيل ويعلن سفير اسرائيل في الأمم المتحدة شامتا: «انهيار النفط العربي ودول النفط تم نتيجة طمعهم، والدول الافريقية التى كانت في وقت ماتتعرض لاغراء العرب تعود الآن لاسرائيل»..

فهذه «الفوائد» التى حققتها المصالح الامبريالية، والتى دعمت استراتيجية امريكا في الشرق الاوسط، وجعلتها في نهاية تلك «الحقبة» تر كل العرب بازدياد وتوقع — لأول مرة — تحالفا استراتيجيا معلنا مع اسرائيل، يطلق يد اسرائيل في المنطقة.. الا يجعلنا ذلك التطور، نتساءل هل كانت المخبرات الامريكية فعلا تتوقع ما روجته في السبعينيات عن المجاعة النفطية؟! أم كان ذلك ضمن مخطط خلق الحمى المطلوبة في الغرب لحثهم هناك على «التحرر» من النفط العربي، وأيضا اثاره غرور وحقارة العرب بايهاهم أن وزراء نفط الامارات والكويت.. الخ سيتحكمون في اقتصاد اوروبا وامريكا واليابان.. والى الأبد؟!..

لقد جاء في تقرير «سرى جداً» للمخابرات الامريكية في عام ١٩٧٦ ونشره جاكسون هذا العام تحت عنوان «الوضع العالمي للنفط في عام ١٩٨٥»: «ان الطلب العالمى على انتاج أوبك سيصل الى ٤٠ مليون ب/ي. ولكن الذى حدث أنه انخفض إلى ١٨ مليون ب/ي وهو الآن أقل من ١٧ مليون ب/ي، وتوقعت أن يصل انتاج السعودية عام ١٩٨٥ الى ٢٣ مليون

(٢) تأمل في الوقت الذى كان النفط واهل النفط والعرب والاسلام يتعرضون لاشرس حملة اعلامية من خبراء اجهزة الغرب كله واسرائيل؛ كان الاعلام العربي في يد مسؤولي اعلام النفط: عبدالله النويسى وعيس الكوارى والشىء المسمى عبده الياني.. وتر يدون الانتصار؟! يا أخى ١٥..... مع الاعتذار للنكته البذيئة!

ب/ى وهو الآن دون ذلك التقدير ب١٨ مليون ب/ى أو أكثر^٣.. بل توقعت أن الاتحاد السوفيتى سيحتاج فى عام ١٩٨٥ الى استيراد ٣,٥ مليون ب/ى وهو الآن يصدر.. نعم يصدر أكثر من مليون ونصف ب/ى .
فهل يعقل أن تخطئ المخابرات الامر يكية على هذا النحو فى قضية بالغة الأهمية مثل مستقبل الطاقة والنفط .. ام ان ذلك كان مقصودا لتحقيق ماتحقق؟! ..

المهم نجحت الخطة الامر يكية ، وحدثت التغييرات المطلوبة فى الصيغة العربية ، وتحرر الغرب من الاعتماد على النفط العربى . وهنا يستحسن أن نقف لحظة عند سياسة السعودية ، النفطية ، لنوضح وجهة نظرنا ، وهى أن خطة المملكة أو تصورهما للمسألة النفطية كان سليما وصحيحا الى حد بعيد ، ولكنها فشلت فى تطبيق هذا التصور أو الدفاع عنه فضلا عن فرضه على الاوبك أو الاوابك على الاقل ، لأنها افتقرت الى قوة التنفيذ ، لعدة اسباب ، منها عزلة السعودية عن حليفها الطبيعى مصر ، ولأنها فى احوج السنوات لوحدة القيادة ، عانت مشكلة الملك خالد ، مما خلق ثغرة واسعة بين التصور الذى وضعه الملك فيصل ومجموعة آل فهد فى بداية السبعينيات ، والتصرفات البدوية ، التى طبع بها المرحوم الملك خالد ، السياسة السعودية فى سنوات الازدهار النفطى .. ولعل ذلك يكون عبرة للذين يظنون أنه يكفى حسن النية أو حتى التخطيط السليم للنجاح السياسى ، دون حاجة الى قوة تفرض الحق .. ولو كان ذلك كافيا ، لما احتاج رسول الله الى عرض نفسه على القبائل يتلمس القوة ..

ويمكن أن نلخص التصور السعودى للنفط فى النقاط التالية :

١- النفط هو الثروة الوحيدة للمملكة وعنصر اساسى فى ثقلها العربى والدولى ، وسيستمر هذا الوضع الى اكثر من عشرين سنة ، حتى تنجح خطط استثمار الامكانيات الاقتصادية الاخرى ، والمملكة من الدول القادرة على تطوير مصادر اخرى ، ولعلها الدولة النفطية الوحيدة التى استطاعت ان تقيم صناعة ناجحة (البتروكيماويات)^٤ كما استطاعت ان تحقق فائضا فى انتاج القمح للتصدير ولولبتكلفة فادحة ستعرض لها ..

٢- النفط ليس اختراعا ولا احتكارا عربيا ، بل إن كل دول العالم تقرىبا فيها مصادر نفطية ، ولكن الخاصية التى تميز النفط العربى ، هى توفره بكميات كبيرة وبأسعار مقبولة ،

(٣) هذه الارقام وقت نشر المقالات فى يناير ١٩٨٥ والمرجح ان انتاج السعودية الآن دون الثلاثة ملايين ولكنها قررت رفع انتاجها ويمكن ان يصل الى أربعة ملايين .

(٤) يجدر الاشارة هنا الى ان هذه الصناعة تواجه مخاطر شديدة بسبب مقاومة الدول الصناعية لها ، ونجاحها يتوقف على كسبها الاسواق العربية والافريقية الاسيوية وهى معركة تحتاج لاكثر من قوة وزارة الصناعة السعودية .

فإن زالت هذه الخاصية فإن البدائل موجودة . والسعودية هي أكثر دول العالم مصلحة في استمرار اعتماد العالم على النفط كمصدر أساسي للطاقة ، فهي تمتلك أكبر احتياطي نفطي معروف ، وتستطيع إنتاج عشرين مليون برميل يوميا إلى منتصف القرن القادم .

٣- إذا ما ارتفع سعر النفط العربي ، أو قلت كمياته إلى المستوى الذي يؤثر على الاقتصاد العربي ، ومع استبعاد الاجراء العسكري ، أي احتلال دول النفط ، فإن الغرب سينصرف عن النفط العربي ، إلى بدائل أخرى ، وفي هذه الحالة ستكون السعودية هي الخاسر الأول على مستوى خطير ..

٤- بعض دول الاوبك ، ومنها دول عربية ، لا تفكر في سياسة طويلة المدى ، سواء لأسباب سياسية مثل عدم الاستقرار أو الرغبة في زيادة الموارد لانفاقها على المغامرات والمؤامرات أو لطبيعة نظامها الذي يقوم على النهب والاتلاف ، أو لمجرد معرفتها بنضوب نفطها خلال فترة قصيرة ، وبالتالي يصبح من مصلحتها الحصول على أعلى عائد ولو قتلت الاوزة ، لأن أوزتهم قصيرة العمر على أية حال ..

٥- ان الشركات العاملة في النفط العربي ، والتي شكلت في بداية هذه العلاقة طليعة الاستعمار الأمريكي والاوروبي ، وكانت أداة تنفيذ سياسة هذا الاستعمار وكثيرا ما استخدمت قوتها المالية ودعم دولها في التأثير أو تغيير سياسة واحيانا اشخاص الحاكمين في الدول المنتجة للنفط ، هذه الشركات أصبحت منذ الستينيات - إلى حذما - رهينة مصالحها في العالم العربي ، وصاحبة مصلحة في استمرار تدفق النفط العربي إلى السوق العالمية ، واحيانا يمكن الضغط عليها لنقل وجهة النظر العربية إلى دولها .. ولذلك من المصلحة استمرار العلاقة بين الدول المنتجة والشركات مع تطويرها لتصبح تجارية أكثر منها سياسية ، وزيادة حصة الطرف العربي ..

ولكى لا يتهمنى أحد بالتنظير للسعودية ، استشهد هنا بمحاورة لى مع الشيخ اليماني في بيروت في مطلع السبعينيات ، وحديث مع رجل النفط الأمريكي «جون شاهين» ..

واخيرا محاضرة لليمانى وزير النفط ، لالمسخ الآخر الذى كان وزيرا للاعلام فى احلك فترة من تاريخ العرب .

كان اليماني قد القى محاضرة في الجامعة الأمريكية في بيروت طرح فيها خطة القيادة السعودية (فيصل ومجموعة فهد) وقابلته بعد المحاضرة وقلت له .. لماذا تعاند التيار وتطالب بالمشاركة بدلا من التأميم ؟

قال : هؤلاء غوغاء .. النفط سلعة خاصة ، ينتج في بلاد لا تستهلكه ، ويستهلك في بلاد

لاتنتج، فان لم توجد رابطة قوية على اساس المصالح المشتركة فسيغير الوضع تماما .. طلبت المزيد قال :

— هناك بدائل للنفط ، كما تعرف ، وهي غير مستخدمة ، لأن أرباح هذه الشركات تمنع استخدامها ، بل ان هذه الشركات التي تعمل في بلادنا ، عندها اكتشافات مؤكدة ، بل وحقوق منتجة فعلا ، ولكنهم لا يستغلونها لأنهم يحققون ربحا اكبر في حقولنا .. فاستمرار مصلحتهم يضمن استمرار حرصهم على رواج نفطنا . وما نريده الآن هو مشاركتهم في الادارة والانتاج والشحن والتسويق (لم يكن للعرب في هذا الوقت اية حصة في ذلك كله باستثناء الربع) نريد تحويل استثمارهم المنفرد حاليا الى ارتباط ومشاركة من البئر الى محطة البنزين ثم قال .. « ان هذه الشركات هي الصوت الوحيد الذي يدعوا الحكومة الامر يكية — ولو على استحياء لمجاملتنا ، ولولاها لما سمع صوت أمريكى يهمس بأهمية العرب » .

ولكن السبعينيات ، وحى الأسعار ، ورغبة الشركات في الانسلاخ ، والمخطط الأمريكى ، كلها ادت الى وأد حديث المشاركة ، وطغيان شعار التأميم ، كما شرحنا وفشلت السعودية في شرح وجهة نظرها ، فضلا عن تطبيقها ..

في هذه الفترة التقيت بالمليادير النفطى الأمريكى العربى الأصيل « جون شاهين » الذى يمتلك عدة مصافي في امريكا والبحر الكاريبي ، وكنا على مائدة المرحوم « سعيد فريجة » وكانت زوجة رجل النفط تحاول اقناعي بأننا التقينا في « حياة أخرى » وهي تقليعة أمريكية كانت شائعة وقتها ومستوردة من الهند من فكرة تناسخ الارواح .. وحبكت معي النكتة فقلت لها : « انا مش فاكر .. لكن اذا كنا فعلا قد التقينا في حياة أخرى ، فلعلى كنت أصغر شوية ، ولعلك كنت أجمل كثيرا » ! .

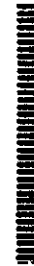
قال رجل النفط : « ان اخراج الشركات من عملية الانتاج سيؤدى الى انهيار هيكل الاسعار ، لأن الشركات أو الشقيقات السبع ، تنظم العرض على ضوء الطلب ، وبالتالي تحافظ على هيكل السعر ، ولكن خروجها ، مالم يحل محلها فورا تنظم يشرف على الانتاج ، ويحدد حصة كل دولة ، سيؤدى الى تنافس هذه الدول فى زيادة الانتاج وبالتالي الى زيادة العرض ، فنقص الاسعار ، ثم زيادة الانتاج لتعويض نقص الدخل ، فانخفاض السعر وهكذا حتى ينهار السعر تماما وهو ما حدث فى امريكا ذاتها فى بداية صناعة النفط عندما انهار السعر من عشرين دولاراً الى عشرة سنتات للبرميل » .

وادركت على الفور المصير المظلم الذى يلوح ، فإن كان اخراج الشركات مطلباً عربياً فإن وضعية الدول النفطية ستحوط الى كارثة ، فهى لاتستطيع تشكيل التنظيم المطلوب ،

ولا تستطيع ضبط انفاقها ، ولا احترام اتفاقياتها ، ومعظمها يعيش لساعته ويريد جمع اكبر قدر ممكن من المال قبل ساعة الرحيل ، ومن ثم فانهار السعر هو المصير المحتوم ، وقد كتبت ذلك في صحيفة «الانوار» عام ١٩٧٤ ، يؤسفني أن اقول الآن ان كل ما تخوفت منه قد تحقق .. ولوبعد عشر سنوات ..



« .. وكل القوى المعادية لمصر ، والراغبة في إضعاف القيادة السعودية ، تركزت خلف شرعية « خالد » الذي كان بلا مواهب إلا كراهيته لمصر وحقده على آل فهد .. »



نستأنف حديثنا عن استراتيجية النفط السعودي ، التي كما قلنا كانت سليمة نظريا وتمثل مصلحة السعودية ، والمصلحة العربية على المدى البعيد ، ولكنها فشلت في تطبيقها أو حتى الدفاع عنها ، وأرجع هنا الى محاضرة القاها احمد زكى اليماني في كلية البترول بالدمام في ٣١ يناير ١٩٨١ أى منذ أربع سنوات ، وسيرى القارىء ان وزير النفط السعودي ، كان كمن يقرأ في كتاب مفتوح ، وهذا أدعى للمؤاخذه لا الثناء ، فليس العيب أن نجعل ونخطيء ، ولكن كما قال الشاعر ، ان اكبر العيوب هو نقص القادرين على الكمال .. والعارفين بالصواب ..

كانت المملكة في هذا الوقت تبرر انتاجها العالى (عشرة ملايين ب / ي) بحرصها على رخاء العالم الصناعى واستقرار العالم الحر والدوافع الانسانية ... الخ ولكن وزير النفط السعودى اضطر كارها ، ومعذورا ، تحت تأثير حملة التشكيك المسعورة من اعداء المملكة و« حلفائها » المتربصين بها ، وقد استطاعت هذه الحملة ان تضلل المخلص وتشكك المتحفظ ، وتعطى الحجة للمتربص .. بأن المملكة تضحي بنفطها الثمين ، وتخفيض السعر ، بحاملة لاصدقائها من الامريكيين والاوروبيين « الكفرة » اصدقاء اسرائيل ، وان المصلحة العربية هي في خفض انتاجها حتى يصل سعر البرميل الى مائة دولار أو تتوقف مصانع الغرب ، ويتجمد الامريكى والاروبى .. !

وفي مواجهة هذا الاتهام اضطر الوزير السعودى لكشف اوراقه فقال : « ان هناك صلة مباشرة بين سعر النفط واستهلاكه ، فكلما هبط السعر يزداد الاستهلاك ، ففي الستينيات عندما كانت اسعار النفط متدنية ، ومحوكمة من قبل شركات النفط ، التي كانت تسيطر على الاسعار بالتنسيق مع حكوماتها المعنية ، كانت الدول المستهلكة تسرف في استهلاك هذه المادة الحيوية ، فقد ارتفع معدل الاستهلاك النفطي بمعدل ٧% و ٨% من ١٩٦١ الى ١٩٧٣ . فلما بدأت الاسعار ترتفع بدأ معدل زيادة الاستهلاك في الهبوط حتى وصل الى ١,٤% في

سنة ١٩٧٨ واستمر في النزول . والعنصر الثاني هو أنه كلما ارتفعت اسعار النفط كلما اتجهت الاستثمارات بكثافة للمصادر البديلة للطاقة » .

وقال ان سياسة المملكة هي : « عدم استنزاف هذه الثروة . وايضا تجنب ما يؤدي الى تقصير عمر استخدام النفط كمصدر اساسي للطاقة قبل أن نستكمل تنميتنا الصناعية والاقتصادية ، وقبل بناء بلدنا لتكون قادرة على الاعتماد في دخلها ، على مصادر أخرى غير النفط . وعلى هذا الاساس فإن مصلحة المملكة قد تختلف مع مصلحة بعض الزميلات في الأوبك .. ففي الأوبك دول ستتوقف عن تصدير النفط عند نهاية الثمانينيات ، وهذه الدول فإن عمر النفط (أوقضية النفط) لا يتجاوز هذا التاريخ . وهذا لو حدث لكان كارثة للسعودية . وسياستنا الآن هي منع حدوث ذلك ، والعمل على اطالة عمر النفط كمصدر أول للطاقة لفترة كافية لتنظيم اقتصادنا » .

وربما كان هذا يكفي .. لولا أن بنى اسرائيل لابد أن يسألوا عن أوصاف البقرة ، فقد وجه للوزير سؤال لا ندرى أكان خلفه خبث الثوري أو سذاجة المخلص المتحمس .. اذ قال السائل :

« ان المواطن السعودي يجد بلاده تنتج اكثر مما يحتاجه اقتصادها ، وتبيع بأسعار اقل من الاسعار الجارية ، بل حتى أقل مما تحصل عليه بلدان الخليج الاخرى ، وهذه التضحيات تقابل بالهجوم والتهديدات من صحافة واعلام الغرب ، بل وبعض كبار المسؤولين هناك .. ألا ترى أن الوقت قد حان لوقف التضحية بمصالحنا من أجل مستهلكي النفط » ؟ ! ..

والسؤال اعتمد الى حد ما على « الدعاية » التي كانت تروجها السعودية ، ولها الحق في ذلك — عن تضحياتها بمصالحها في سبيل الانسانية واستقرار العالم الحر... الخ ..

ولكن اليماني الذي واجه اتهاماً بالاضرار بمصالح بلاده اضطر الى كشف اوراقه فقال : « لنندع العواطف جانبا ، ونواجه الحقائق ، قد تبدو مصلحة السعودية في انتاج أقل واسعار أعلى ، وبصرف النظر عن كل العوامل السياسية ، دعوني اذكركم بما قلته في بداية المحاضرة عن العلاقة بين السعر ومعدل الاستهلاك .. » فإذا اجبرنا الدول الصناعية على زيادة الاستثمار في ايجاد بدائل للنفط ، ففي خلال فترة من سبعة الى عشرة اعوام سينخفض الاعتماد على النفط كمصدر للطاقة الى حد يهدد مصالح المملكة التي لن تجد عندها سوقا تباع فيه كمية كافية من النفط لسد احتياجاتها المالية (ربما يصبح الكلام أكثر وضوحا لو اضعفنا صفة « العربي » الى حديثه عن الاستغناء عن النفط . فقد تحقق فعلا ما نخوف منه والمملكة التي كانت تباع عشرة ملايين برميل في ١٩٨٠ تجد صعوبة بالغة في بيع أربعة

ملايين برميل . فالعالم الصناعي لم ولا كان في خطته الاستغناء عن النفط بل عن النفط العربي .

قال اليماني : « ان السؤال ينطلق من شعور بأننا نستغفل (بضم النون) اذ ننتج اكثر مما نحتاج ونبيع بأقل من الممكن ، وصدقوني اننى افهم واقدر اهتمامكم ، ولو أنه لا يستند الى الواقع .. دعونا نفكر بواقعية ولا نندفع خلف الدول الاخرى التى لها مصلحة فى تحصيل اكبر ثمن للبرميل فى اقصر وقت ممكن » .. ثم ضرب مثلا بالجزائر .. وقال « ان مصلحة السعودية هى فى مد أجل النفط أطول فترة ممكنة » . بل وتنبأ فى هذه المحاضرة بأنه اذا تجاوز العرض الطلب « فسيقع العبء على السعودية لخفض انتاجها » .

وقد تحققت مخاوف اليماني ، كما أوضحنا ، وخفف الغرب من استهلاكه للنفط عامة ، والنفط العربي أو السعودى خاصة ، وانهار السعر ، وبقي ان نقول ان الدول التى كانت تلعب دور « الصقور » وتتهم السعودية بضعف الثورية هذه الدول هى التى دمرت السعر ، وشلت فعاليته ، عندما اندفعت تباع بسعر اكبر من سعر الاوبك ثم لما زاد العرض اندفعت تباع بأقل من سعر الاوبك وتنتج اكثر من الحصص المقررة حتى افلت الأمر وانهار السوق ، وتبين أن « ثور يتهم » لم تكن الا نظرة ضيقة الافق من المخلصين الجاهلين منهم ، أو تمشيا مع مخطط كسينغر من المتآمرين العملاء منهم . ويجب القول ايضا انه عندما بدأت هذه الدول تباع نفطها سرا بسعر أقل ، استمرت السعودية ملتزمة بالسعر المعلن ، حتى زعم « وليم راندول » المحلل الاقتصادى لمجموعة « فيرست بوسطن » ان مجموعة شركات الارامكو (اكسون — موبيل — تكسكو — ستاندرد أويل أو ف كاليفورنيا) خسرت ٢,٥ مليار دولار نتيجة اضطرابها لشراء النفط السعودى خلال عام ١٩٨١ بأعلى من سعره فى السوق » .

فاليماني أو السعودى بمعنى أصبح تستطيع القول « نصحتهم بمنعرج النفط ، فلم يستجيبوا النصيح حتى انهار السعر .. أوضح منى العزم والاوبك أبت ! ..

وهذا يعيدنا الى اصل المشكلة وهى : لماذا عجزت السعودية عن فرض سياستها السليمة ، لماذا فشلت فى حماية مصالحها التى هى فى المدى البعيد مصلحة غالبية العرب ؟ لماذا اعتبر انهيار السعر — عن حق — فشلا خاصا للسعودية ..

بالطبع هناك الاسباب الداخلية ، وطبيعة الحكم ، والالتزام اكثر مما يجب بعامل السن ، حتى لو تعارض مع الكفاءة ، ثم ميراث صراع فيصل — سعود الذى فرض ابراز عدد من غير المؤهلين ، وابعاد كفاءات ممتازة .. وتجلى ذلك فى وضع الملك خالد فى مركز المسؤولية فى

أخرج فترة في تاريخ السعودية والعرب^١ ..

وقد قلت مرة لأمير سعودي كبير: إذا كان عبور الملك فيصل على الصراط سيتعثر فلأنه يأتي يوم القيامة حاملاً الملك خالد على كتفيه، لأنه اختاره ولياً للعهد، وهو يعرف عنه أنه بلا كفاءة تتجاوز تنظيم سباق للجمال، بل حتى مجرد مشاهدته؟! .. «فرد سموه»: ليس صحيحاً .. الملك فيصل برىء من اختياره، بل نحن الذين فرضناه، ولم يكن يخطر بالبال أنه سيتولى الملك يوماً، وكان اختياره ولياً للعهد مجرد سد خانة، ولترضية شقيقه الأمير محمد الذي تمت تخطيطته، رغم الدور الذي لعبه في خلع الملك سعود.

والحقيقة أن الاتجاه العام كان لتولية الأمير «فهد» بعد فيصل، وهذا ما كان فيصل سيفعله لو طال به العمر، وطوال حكم الملك فيصل، لم يكن أحد خارج المملكة يعرف بوجود ولي عهد اسمه خالد، فقد كان فهد وأشقائه يديرون المملكة وبكفاءة مشهودة طوال عهد فيصل فلما قتل الملك كانت المؤامرة تتطلب حصر هذه المجموعة وشل قدراتها، من خلال التمسك بشرعية خالد، وقد ساعد على ذلك عدة عوامل، لا مجال لشرحها، هنا على الأقل، المهم أن كل القوى المعادية والمنافسة «للفهد» (الأمير فهد) (الملك فيما بعد) وأشقائه الستة)، وكل القوى المعادية لمصر، وكل القوى الراجية في إضعاف القيادة السعودية تمركزت خلف شرعية خالد .. الذي كان بلا مواهب، إلا كراهيته لمصر، وحقده على آل فهد، لإهماله خلال فترة ولايته للعهد، ثم إهماله خلال ملكه .. ومن أخطاء الرئيس السادات، أنه لم يكن يضيع وقته مع خالد، فلم يقبل أن يبحث معه أبداً قضية ذات صفة جدية .. مما زاد كراهية الرجل لمصر والسادات .. حتى أنه حرص على إغاضته بزيارة القذافي رغم ما قاله الرئيس القذافي ضد والده الملك عبدالعزيز! ورغم تباین موقف مصر التي حشدت الاسطول ووضعت رهن طلب المملكة في أحداث الحرم وموقف ليبيا التي تبنت احتلال الحرم وسلمت الاذاعة لناصر السعيد يعلن مسؤوليته عن الاحتلال.

ومن نوادر الملك خالد، أنه كان بالمغرب، وكان يحب المزاح .. فبدأ يثير «السيد عبد الوهاب» مدير التشریفات، وهو من الاشراف بقوله ان كل الذين يدعون أنهم من الاشراف هم في الحقيقة من اليهود .. والملك الحسن جالس في المجلس وهو بالطبع من الاشراف، ولكن المرحوم خالد لا يدري ولا نجحت محاولات السيد أحمد عبد الوهاب في لفت انتباهه، وأخيراً تقدم فهمس في أذنه .. وهنا تيقظت فطرة البدوي، فقال: واحنا

(١) في تصريح للامير طلال بن عبدالعزيز حول اسباب فشل سياسة النفط في المملكة قال مجلة الصياد لو كان القرار في النفط يصدر بصيغة جماعية في المملكة لما فشلنا! ..

كمان آل سعود يقولوا علينا بتوع مسيلمة الكذاب ! وكانت هذه اللفتات البدوية من الملك خالد، هي التي تثير الاعجاب و يتناقلها الرواة في دهشة كدهشة الوالدين من تعبيرات طفلهم الذكية !^٢ ..

واخيرا كان الاسلوب الوحيد الذي يضمن للمملكة نجاح سياستها النفطية هو تحطيم الاطار اللاعربي للاو بيك ، خلق قاعدة عربية تتبنى سياستها وتحل التناقضات الداخلية بين الدول العربية والاسلامية صاحبة المصلحة العاجلة في رفع السعر، بأن تضمن لها حصة مستقبلية أو استثمارات وكذلك تفرض الطاعة على الدويلات الصغيرة ..

كان على السعودية أن تبحث عن غطاء وقاعدة عربية لسياستها اساسها تحالف سعودى — مصرى .. ولكنها لم تفعل .. ففشلت ...

(٢) من طرائفه قوله للساقى .. « قدم القهوة للشوام » يقصد رشاد وفرعون والدواليبي .. وهما يدعيان السعود ويحتلان منصب « مستشار الملك » وهى وظيفة من صميم أعمال السيادة !

« .. فنحن نطالب بالتحالف أو التلاحم
المصرى - السعودى عن قناعة بأنه ضرورة عربية
ولأنه لمصلحة السعودية أولا .. فالقوى
التي تبعد السعودية عن مصر هي قوى متآمرة
تريد رأس النظام السعودى .. »

00

في الثلاثينيات يوم كانت مصر درة العالم العربي برجال من امثال طلعت حرب ،
روى لى الشيخ عبدالله بلخير وزير الاعلام السعودى السابق ، واحد رجالات عصر
التحالف السعودى - المصرى . وتلميذ العاهل الخالد الذكر عبدالعزيز آل سعود روى لى
عندما التقينا في « جنيف » هذا العام أن « طلعت حرب » وصل الى جده لافتتاح أول
خط طيران عربي وكان الطيار هو الممثل المشهور بعد ذلك « حسين صدقي » واستدعى
طلبة المدرسة الابتدائية في جدة للحفل - وكانت العلاقات الرسمية لاتزال مقطوعة بين
مصر والسعودية ، وفوجئ المحتفلون بالطالب أو الصبي عبدالله بلخير يلقي هذه الابيات في
مواجهة الضيف المصرى اللامع .

عجب موقف الكنانة منا ، ما عرفنا لسره تعليلا
قرب الابعدون منا وصدت وتمادت فاعسى أن نقول
أجدير بها الصدود وحتى ما آما آن للجفا أن يزولا
قسما بالذى يرى الكون لا يملك فرد سواه فيه فتبلا
لومشت مصر نحو مكة شبرا لمشت مكة الى مصر ميلا

* * * *

وقد سر الباشا طلعت حرب من القصيدة وقال لمراقبيه انه وضع القصيدة في تقريره
للمسؤولين المصريين قائلا : « حتى العيال في المدارس عاتين موقفنا » .. وعندما ذهب
الباشا الى بيروت للاحتفال بافتتاح فرع « أول » بنك عربي ، « بنك مصر » وكان الشيخ
عبدالله بلخير يدرس هناك حرص الباشا على استضافته مع بعض الاولاد السعوديين منهم

(●) ابتداء من هذا المقال توقف النشر فكان آخر ما نشر هو الحلقة الخامسة بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٨٥ وأنا انشره حرقيا كما
سلم للمجلة أما الاضافات فأسأعها في الهامش (سبتمبر ١٩٨٥)

احمد عبد الجبار سفير المملكة في الامم المتحدة بجنيف واولاد عبد الله السليمان ، وذلك في سينما امير حيث كان يعرض « أول » فيلم عربى من انتاج « أول » ستوديو سينمائي عربى « لأول » شركة انتاج سينمائية عربية .. ستوديو مصر .. الخ ..

واذا كنت قد كتبت اكثر من مرة ، ان مصر والسعودية والمغرب والسودان والعراق يمكنهم أن يقرروا مصير العرب ، وبوسعهم أن يخلصوا الأمة العربية من محنتها ، فقد آمنت منذ الستينيات بأن قاعدة ونواة أى بعث عربى ، هو تلاحم مصر والسعودية ، فليس هناك من مبرر واحد للتناقض أو تعارض المصالح ، وإذا كنت قد انتقدت حكام مصر أقصى ما يكون النقد لتجاهلهم هذه الحقيقة ، أو انسياقهم وراء أوهاام مناقضة ، وإذا كان من الممكن تحميل مصر - عبد الناصر ، وقبلها مصر - الملك فؤاد ، مسئولية تعطيل هذا التلاحم ، وماجره ذلك من نكبات على الأمة العربية ، فلا يمكن للمنصف أن يحمل مصر وحدها ، مسئولية القطيعة التى جرت في عهد الملك خالد الذى كان رحمة الله عليه - كما قلنا - عاطلا من اية موهبة أو كفاءة الاعداء مصر ، حتى أنه ذهب الى زيارة القذافي اغاظة للمصريين ، والقذافي سب والد الملك خالد واجداده ، وأيد احتلال الحرم ، بينما حشدت مصر الأسطول وعلنت عزمها على التدخل اذا ما تهدد النظام السعودى أية مخاطر ..

كذلك لا يمكن تحميل مصر اليوم أية مسئولية في استمرار تعطيل هذا التلاحم الذى تزداد أهميته وضرورته ، والحمد لله أننا نطالب به ونصر عليه بعدما نصبت الموارد وذهب الطمع أو مظنة الطمع ، فرصيد المملكة من العملة الصعبة هو مائة مليار دولار تسحب منه عشرين مليارا سنويا لسد العجز في الميزانية ، وإذا استمر الوضع على هذا الحال ، وهو سيستمر ، فسيفنى الرصيد في خمس سنوات ٢ ..

فنحن نطالب بالتحالف أو التلاحم المصرى - السعودى ، عن قناعة بأنه ضرورة عربية ، ليس فقط ، بل ولأنه لمصلحة السعودية أولا ، فالقوى التى تبعد السعودية عن مصر هى قوى متآمرة على السعودية ، تريد رأس النظام السعودى ، وتعرف ان التلاحم المصرى والسعودى هو الذى يبطل كيدها ، ويرده في نحرهم وليس جيش مجلس التعاون الخليجى ، الذى مع شديد الاحترام والتوقير لا يستطيع الدفاع عن طائرة في مطار الكويت ..

وصحيح ان ميزانية وزارات الدفاع في دول الخليج تعادل أربع مرات ونصف مرة

(٢) يقال الآن أنه وصل الى اربعين مليارا ولا يجوز قياسه على رصيد بريطانيا ، لأن بريطانيا دولة غنية الموارد ، والرصيد هناك له أهمية نفسية فقط ، ودولة مثل امريكا مزدهرة بعجز في الميزانية قدره ٢٠٠ مليار دولار سنويا وعجز في الميزان التجارى مائة وخمسين مليار دولار ودين وصل الى ٢ تريليون أى ٢ وامامها ١٢ صفرا .. ولكن دول النفط تعيش من الصندوق للسوق .

مجموع ميزانية اسرائيل ! (ميزانية اسرائيل عشرين مليار دولار وميزانية الدفاع الاسرائيلية خمسة بلايين وميزانية الجيش والحرس الوطنى السعودى ثلاثين مليار دولار ولولنا ان عدد القوات المسلحة والحرس مائة ألف وهو رقم شديد البهجة فهذا يعنى ان المجد السعودى يتكلف ثلاثمائة الف دولار) ^٣ واذا كانت الميزانية العسكرية السعودية كما تقول نشرة المعهد الاستراتيجى فى لندن هى اعلى ميزانية فى العالم الحرب بعد الولايات المتحدة ، فلا شك أن تكلفة المجد فى الخليج هى أعلى تكلفة فى تاريخ البشرية وربما الى خمسة قرون مقبلة ! الا ان قوة الجيوش لا تقدر بحجم ميزانية الدفاع ، ولكن لا يعقل ان تكون ميزانية الدفاع فى ابوظبى أكبر من ميزانية الامبراطورية الاسرائيلية ! ^٤

القوات المسلحة لدول الخليج المعنية كالاتى : ٥٢ ألفا السعودية ، ٢٤ ألفا عمان ، ٤٩ ألفا الامارات ، ستة آلاف لقطر ، ثلاثة آلاف البحرين ١٣ ألفا الكويت ، المجموع مائة وسبعة واربعون ألف عسكرى . وبالمنااسبة جيش ايران مليوناً جندي ، أو ما يعادل ١٤ مرة ، وهذه مجرد مقارنة . فلا مواجهة بإذن الله .. وباستثناء السعودية ، لا توجد قوات قتالية فعلية ، وان كانت بعض الجهات تحاول دائما الانتفاص من كفاءه القوات المسلحة السعودية بما يصفونه بالعجز عن انهاء احتلال الحرم من جانب جماعة جهيمان فى نوفمبر ١٩٧٨ وهو قول مردود ، والذين يرددونه — عن حسن نية — يجهلون طبيعة المكان ، وانه يختلف عن مطار عنتيبي فى أوغندا أو حتى البرلمان البريطانى ، فقد كان القتال يدور حول أهم اترقى العالم واقدس مقدسات المسلمين ، وهو « الكعبة » ولولا تدين المتمردين والسلطة معا ، لانهى الحادث بأكبر كارثة فى تاريخ المسلمين منذ هدم القرامطة الكعبة ، فطلقة واحدة خاطئة كانت كافية لاحداث الكارثة ، ومن هنا فقد كانت معركة من طبيعة خاصة ، ونفذت بنجاح منقطع النظير ، (ونحن نعلق هنا على الجانب العسكرى ، ولم نبد رأينا قط — حتى الآن — من الناحية السياسية أو العقائدية لأن المعلومات المحايدة غير متوفرة) .

فى مؤتمر دول الخليج الأخير حاولت السعودية ، انشاء قوة دفاع مشتركة تتراوح ما بين عشرة آلاف وثلاثة عشر ألف جندي ، ولكن الاتفاق لم يتم لأن الكويت تريد الاستمرار فى لعبة التوازن وعدم الارتباط ، ولأنها تعترض على جنسية القائد ولا تقبل أن يكون سعوديا ، كما هو المفروض ، وكما تطالب بقية المشيخات ، ورغم تنازل السعودية عن منصب السكرتير الدائم ، بل وحتى عن مبدأ التناوب ، وكانت هناك فكرة فى الدورة الأخيرة أن

(٣) اى الف دولار كل طلعة شمس لكل عسكرى وهو أمر تنوء به خزائن قارون و يثير غضب ايوب !

(٤) سورى منافق من عملاء الانفصال والمرتزقين بسب مصر لم يجد مخرجا الا قسمة الميزانية على « مساحة » البلد !! وهكذا أصبحت اقل من اسرائيل !

لا يجدد للسكربتير الكويتي ويعين «بحراني» لما لذلك من مغزى ، ولكن الكويت أصرت
وجدد لمندوبها . كما تنازلت السعودية عن مشروعها في طرح عودة مصر للجامعة العربية ،
رغم انها كانت قد اتخذت قرارا بذلك كما صرح لى مصدر سعودى كبير جدا قبل انعقاد
المؤتمر، ولكن الكويت عارضت ، والغريب أنها سربت الى الصحف الامريكية خبرا
يقول ان السعودية هي التي عارضت « وبقوة » الأمر الذى اضطر السعوديين لاصدار بيان
توضيحي ينفي ذلك !

كذلك رفضت الكويت الموافقة على اجراءات تشكيل قوات الدفاع الخليجية المشتركة .
بل حرصت على اعلان معارضتها ، فما أن اذيع تصريح الملك فهد عن هذه القوات حتى
انبرى وزير خارجية الصين عفوا اقصد الكويت .. العظمى .. انبرى يوضح و يصحح !
و بمقارنة تصريحات الملك فهد عن قوة الدفاع الخليجية المقترحة . و بيان أو توضيحات
المتحدث الكويتي لانا لاحظ - فقط - تباين وجهتي النظر . بل حرص المتحدث الكويتي
على القاء ماء بارد على التصور السعودى . وتأكيده ابتعاد الكويت عن هذا التصور ..

فالملك السعودى قال وهو يعلق على انجازات اجتماع القمة لمجلس التعاون الخليجي :
وفما يتعلق بتنسيق الدفاع . فقد تدارس المجلس في دورته هذه كل ما يدعم الامن الجماعي
لاعضائه . في اطار القوة الدفاعية لكل دولة . داخل تقدير مشترك . وهذا ينبع من تقدير جاد
للمسؤولية نحو شعوبنا والشعوب العربية الاسلامية وما احب ان أوكده انه بحبنا غير المحدود
للسلام والاستقرار بين الامم فن الضرورى ان نبني قوة دفاعية لحماية اوطاننا ومنجزاتنا
وقهر ومقاومة كل معتد أو عدو وضمان الأمن والاستقرار لشعبنا فلا مكان في الخليج لاي
تدخل أو نفوذ اجنبي ..

واضح ان الملك يعطي أهمية كبيرة للقوات المشتركة المقترحة . ويركز على الأمن
الجماعي . والاستقرار والأمن لكل دولة داخليا وخارجيا و يتحدث عن مقاومة التدخل
وايضا النفوذ الاجنبي . ويربط ذلك كله بالقوات المشتركة المقترحة بينا حرص المتحدث
الكويتي على :

١ - نفي العمل الجماعي

٢ - ان القوات ليست دائمة بل تتشكل - إن تشكلت - بقرار ولفترة محدودة ويجدد لها .

٣ - لاحق لها في مواجهة أي اضطراب داخلي .

٤ - لن يكون لها وجود حتي في الفترة المحدودة هذه بل تستدعى عند الحاجة اي شبيهة
بالقيادة العربية المشتركة .. تشكيل فوقي بلا قوات ..

وبينما جعل الملك هذه القوات الموضوع الاول في حديثه عن الاجتماع .. قال عبد الله
بشارة للصحفيين .. ان قرار القوات المشتركة هو قرار رمزي ..

« والغريب ان وجهة نظر الكويت هي التي انتصرت فلم تشكل لقوات ولا قيادة
وتبين ان السعودية لا تستطيع ان تقنع حتى الكويت فضلا عن ان تفرض وجهة نظرها
ورحم الله فيصل الدويش الذي اقنع شيخ الكويت بأن يدين أي يعتنق الاسلام) ...

ونفس الامر اتخذته الكويت من اتفاقية الامن التي اقترحتها السعودية وايدتها بقية
الدول الاعضاء منذ ثلاث سنوات ولم تتحقق بسبب « الفيتو » الكويتي . لانها تهدد نظامها
الديمقراطي . وكذلك دستورها رغم ان الملك فهد قال في اجتماع البحرين الماضي انه
مستعد لاعطاء تعهد بأن الاتفاقية لن تنفذ والمملكة لن تحتج على أي نشاط سياسي او
دعائي ضد المملكة في الكويت أو البرلمان البريطاني .. اقصد الكونغرس .. عفوا اعني
ديوانية الريان أو مجمع الخويات المسمى برلمان الكويت ..

ولن تطلب السعودية - قال الملك - تسليم أو محاكمة أي سياسي مقيم أو لاجئ في
الكويت وان الاتفاقية لا يقصد بها الا مكافحة الجريمة واللصوص والمخربين الاجانب ولكن
الكويت التي كادت تزول كدولة بانفجار بضع قنابل .. ويتملكها الخوف فلا تطبق
ولا حتى تنفيذ احكام محاكمها .. الكويت هذه ترفض اتفاقية الامن . وقد تجاوز الامر في
هذه المرة حدود المجاملات المعتادة . فالملك كان على رأس الوفد السعودي وفي ضيافة
الكويت . واذا برئيس ديوانية الخويات يقف واثناء وجود الوفد السعودي ليطمئن النواب
على الديمقراطية الكويتية (....) من الاستبداد السعودي فيقول - كما حرصت وكالة
الانباء الكويتية على اذاعته بالحرف الواحد : « انكر محمد يوسف العدساني رئيس الجمعية
الوطنية الكويتية أية مخاوف من تأثير مجلس التعاون الخليجي على الديمقراطية الكويتية وقال
في مقابلة صحفية .. ان مجلس التعاون قد مر عليه خمس سنوات . دون ان يؤثر على
الديمقراطية الكويتية (... ؟؟ !) وهذا ينبع من الاحترام المتبادل بين الاعضاء » .

يعني الكويت تحترم ديكتاتوريتهم وهم يحترمون ديمقراطية الكويت .. التي ألغاهها
المرحوم صباح السالم بأصبعه .. وهو رحمه الله .. ولا بلاش ..

وقال رئيس المجلس الوطني الكويتي عن اتفاقية الامن المقترحة بين دول التعاون ، أنها
ستوقع الا اذا .. نعم ؟! الا اذا .. كانت تتناقض مع الدستور الكويتي !

ومن قبل عندما تعرضت الكويت لاختراق مجالها الجوي ، قدمت لها السعودية كل المعلومات
المتاحة من طائرات الاواكس ، ولكن الكويت رفضت توقيع اتفاقية تنظم تبادل

المعلومات ، حرصا على لعبة السير على الحبل أو عدم الانحياز.. ويتساءل السعودي بل كل العرب : انحياز ضد من ؟ ومع من ؟ ! ورحم الله الملك فيصل الذي قال لشيخ الكويت : انتم تصدرون قرارات دولة عظمى هل نسيتم انكم من عنيزة ؟ .

وأين هي المواقف الموحدة أو حتى التنسيق ، ومشیختان في دولة الامارات تتقاسمان نفطهما مع ايران (دبي والشارقة) وابوظبی ترفع تمثيلها الدبلوماسی مع ايران في عنفوان الحرب مع العراق التي دفعت فيها السعودية للعراق ثلاثين ألف مليون دولار.. وتانزانیا مولت حملتها لخلع عیدی أمين بقرض من ابوظبی ، والسعودية تستضيف عیدی أمين ..

ما نريد قوله هو ان السعودية ليست دولة نفطية ، فقد وجدت قبل النفط وستبقى بعده ، فلماذا تخضع سياستها لهذه الكيانات المفتعلة التي بلا تاريخ ولا مستقبل ، مجرد تجمع حول بئر النفط لقبض « شرهة » الخواجاء ، دول لا تراهن على العروبة ، ولا على غو وطني ، فالكويت تسمى استثماراتها بالخارج : « مستقبل الاجيال القادمة » ! فهم يخططون للعيش على عائدات اموالهم في اوروبا وأمريكا ، وبالطبع سيكون من الأنسب أن تهجر هذه الأجيال الى حيث يوجد مستقبلها ، وتعيش بجانبه ، والا فن منهم سيقبل أو يستطيع العيش في الكويت من غير « كندشة » (مكيف الهواء بالكويتية الفصحى) ! .

ودولة الامارات بعروبيتها « الصافية » الممزوجة بحليب ايران وتوابل باكستان « الحريفة » وو يسكى الانجليز ، يقيم شيوخها خارجها بصفة أصيلة وداخلها بصفة مؤقتة ، وهي ليست الا تجمعاً خلقه الانجليز لمحاصرة السعودية ، وقص لجناح دولة عمان الطبيعية . ورحم الله عبد العزيز الذي رفض أن يتنازل عن شبر واحد من أرض السعودية لشيوخ كل تاريخهم هو العمالة للأجنبي والكيد لحركة التحرر أو البعث الاسلامي .

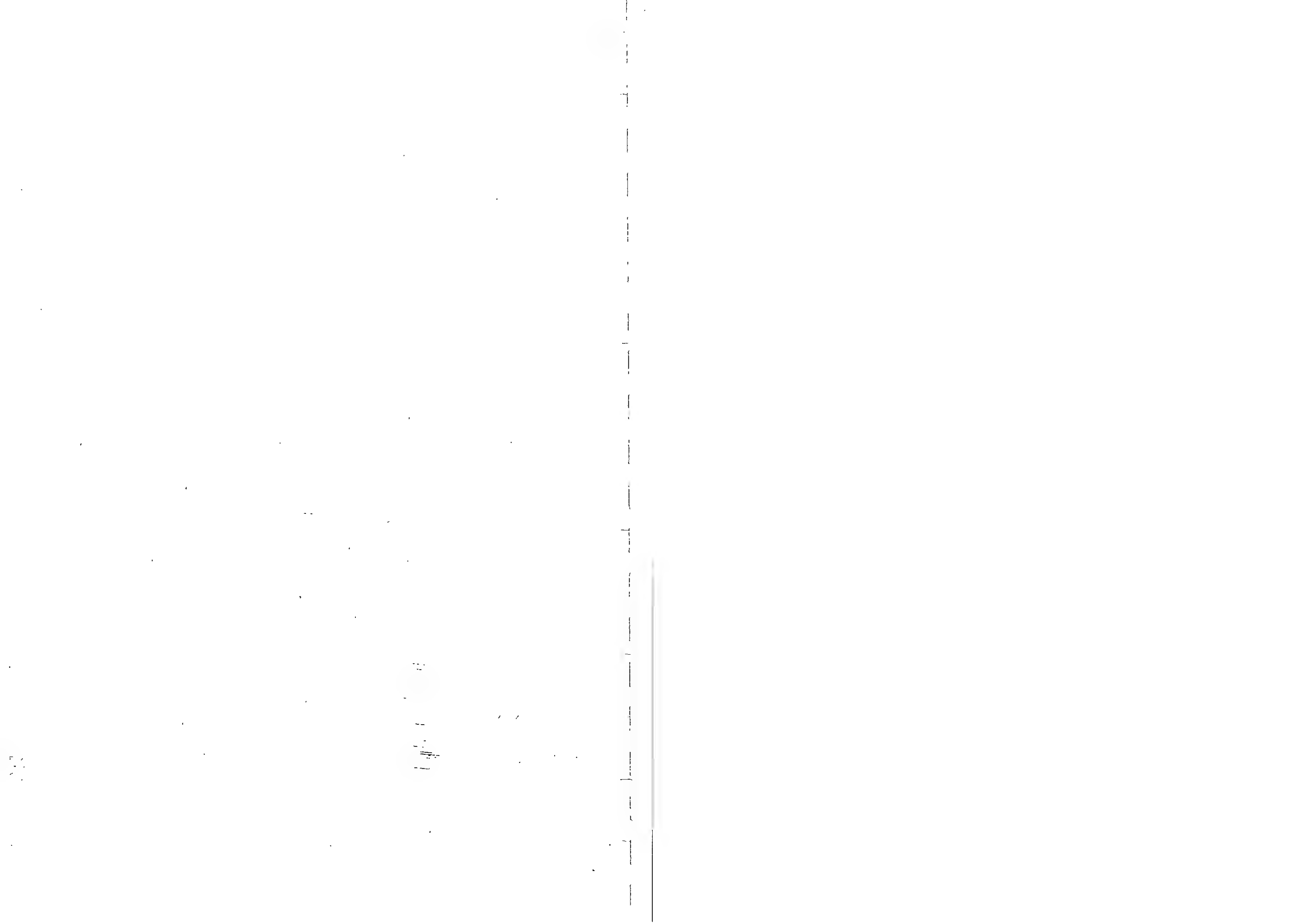
المواطن السعودي يسأل ونحن معه ، لمصلحة من تتحمل السعودية العبء الاكبر في كل تخفيض لانتاج الأوبك ؟ ! لماذا ؟ ! لكي تستمر دولة الامارات في انتاج مليون ومائة الف برميل يوميا ؟ بأي منطق تحتاج الامارات لنفس كمية الانتاج التي يضخها العراق — الآن — بملايين سكانه وتنظيماته ومسئوليته ومؤامراته وحروبه ؟ ! وماذا كسبنا من اعلان دوله الامارات كأغنى دولة في العالم ، واكثر دوله تخلفا وجهلا وسوء ادارة وسفاهة في الانفاق ووقاحة في السلوك واستهتار بالمال العام من حمدان الذي حمل الميزانية كاملة وسافر الى الهند ، الى عبدالله الدرويش الذي اختلس استثمارات الدولة في الخارج واخفاها في لحيته (لا يمت بصلة لآل درويش بقطر) الى عبدالله التميمي أو ابن العلقمي الذي نهب ميزانية وزارته ؟ !

هذه الدولات التي تعيش حالة انفاق سفيه لا يفترق عن نفسية اللص والمقامر، بلدان
بلا حكومة ولا برلمان ولا صحافة ولا ثقافة ولا خلق .. تديرها عصابة من البلهاء الذين تحركهم
غرائزهم بالإشتراك مع اللصوص الذين بلا ضمير ولا هدف الا نهب المال السائب^٦ .. هذه
الدوليات التي وصفها الكاتب الباكستاني « إقبال احمد » فأبدع عندما قال :

« لقد جنعوا ثروة بلا عمل ، وحققوا أرباحا بلا انتاج ، بلادهم متخمة بالآلات ولكن
بلا تكنولوجيا (تقنية) . اقتصادهم يديره اجانب ، واستثماراتهم جعلتهم اكثر تبعية للغرب .
يملكون البلايين ولكنهم بلا رأس مال ، انهم يفتقدون الارادة والقدرة لتحويل ثرواتهم الى
قوة ! » .

صدقني !

(٦) في حى الاستقلال عن مصر او عزلها شكلت الامارات صندوقا للنقد العربي في مايو ١٩٧٧ واختاروا له رئيسا وجهازا
غير مصرى ، تبعا للموضة وقتها ، واستجابة للابتزاز الثورى وسرق الطاقم غير المصرى ورئيسه ، سرقوا ستة وسبعين مليون
دولار من الصندوق ومفتاحه مع ؟ !





« .. ولو كانت الكويت تمارس الصدق مع النفس لكتبت على بورصة سوق المناخ : أكبر افلاس للسياسة الإقليمية في النفط ، وقصر النظر والجشع» .
«وتعهد الكويتيون بعدم الالتزام بالمقاطعة العربية»



الوضعية الشاذة للنفط ، كما شرحنا ، وهي ظهوره في مناطق قليلة السكان ، متخلفة البيئة الاجتماعية ، وفي اطار المفهوم الأقليمي الضيق ، ومع تدفق المال في ظل هزيمة شعارات العروبة ، وبعدها ظهرت طبقة من البيروقراطيين والطفيليين حول قصر الحاكم .. يضاف الى ذلك أزمة القيادة في الدول النفطية في عهد الملك خالد ، وفقدان الثقل المصرى في السياسة العربية ، أدى الى تعرض الدول النفطية الى عملية ابتزاز صريحة وقيحة من قبل دول وقوى عربية ، سواء بالاستجداء عن طريق الصراخ باسم الاخوة والعروبة ، أو التهديد بتدمير مصالح العروبة ، وافتعال معركة ثم طلب ثمن « الصلح » .. أو الابتزاز بالاكراه الصريح المباشر بحملات الاعلام أو التهديد بالتخريب والقتل .

وربما تحت تأثير الاحساس بأن المال يتطلع اليه من لا يستحقه وينفقه حيث لا يجب ، فما النفور من الدعم أو الدفع ، وجرى البحث عن أية مصادر انفاق لكى لا يأخذ المال أو يتطلع اليه « الاخوة » العرب .. فكانت الاستثمارات في الغرب وشراء الجزر في المحيطات والالتزام برعاية السلاحف والثعابين في هذه الجزر ، وكذلك الانفاق على تجميل مدينة لندن ! .. وكانت خطط التنمية التليفزيونية التى لا تتميز إلا بأرقامها الفلكية لا بسبب ضخامة المشاريع بل فظاعة الاستغلال والنهب وتواطؤ السماسرة . كما سنوضح بأمثلة ، حتى فقدت الأرقام معناها ، وأصيب الجميع بالدوار أو السعار ، وربما كان السبب الاساسي ، هو العجز عن تقدير حجم المبالغ المتداولة ، وكلنا نعرف قصة الأمير الذى أمر الشاعر بمليون درهم أو ألف ألف كما كان العرب يقولون ، وفطن وزيره الى ان الامير لا يعرف قيمة المبلغ ، فأمر بأن يوضع المال في اكياس وترص في طريق الأمير ، فلما مروا به سأل مرتاعا ما هذا المال ؟ .. قالوا : هذا هو الألف ألف التى أمرت بها للشاعر ، فعدل فورا عن قراره وأمر له بألف واحدة ! وكذلك كان السفه في الانفاق ، والشح والتقتير بالمقابل ، ينبع الى حد كبير من العجز عن استيعاب حجم الثروة .. ترى لورصت الثلاثمائة مليون عمولة عصام

فارس أو الشلائين مليوناً عمولة دافيد زنبر أو الثلاثة آلاف مليون دولار التي اضافتها شركة تليفونات على الفاتورة.. لورصت في طريق الأمير أكان يرضى؟!

ولنتأمل قصة ما يسمى ببورصة «سوق المناخ» في الكويت.. فبعد أن تدفق المال واصبح الكويتي بحساب الدخل يزاحم الطبيياني على مركز أغنى مواطن في العالم، كان من الطبيعي أن يصبح لدى الكويتيين بورصة! دكان صغيرة في سوق المناخ وصل ثمن خلو الرجل لها الى عشرين مليون دولار! ولما إنهارت كانت خسائرها ٩٣ ألف مليون دولار أى رقم ٩٣ وأمامه تسعة أصفار، مما يفوق عدد الجراد الذى حلق فوق الكويت خلال القرن الماضي والحالى!.. أو الف مرة ضعف المسافة من الشمس للأرض!

واذا كانوا فى لندن أو نيو يورك يتعاملون في البورصة بأسهم حقيقية لشركات وموجودات، فتطرح اسهم شركة فورد مثلاً أو جنرال موتورز أو موبيل أو يل، فأنت تشتري موجودات ومعدات، ومخترعات، ومصانع، وعقارات، وكفاءات موظفة فعلاً، وآباراً ومصافي وانايب، وامتيازات مؤكدة أو مرجحة.. ولكن العبقرية الكويتية تجاوزت ذلك كله، فالبورصة تتعامل في شركات وهمية لا وجود لها ولا حتى مقراسمي، يكفي مجرد تسجيل اسم «شركة النخيل الذهبي» أو «عصافير الجنة» أو المؤسسة العربية لصناعة الطائرات النفاثة، أو «عموم النفط المبارك» وتطرح الاسهم، وتبدأ حى الشراء والبيع فى عالم الوهم، وتتكدس الارباح من المقامرة، حتى أطلق البعض على بورصة سوق المناخ اسم «بلاى بوى الكويتي» أو نادى القمار، وإن كانت حتى المقامرة في سوق المناخ، كانت تخلو من روح المقامرة، لأن الجميع تصرفوا بلؤم المطمئن الى أن الحكومة تقف خلفهم بخطاب التعميد أو دقر الشيكات لتعوضهم عن أية خسارة، مجرد اتفاق بين مرتش ومختلس، أو قل ثمن السكوت عن تبديد المال، فلا شركات ولا اسهم ولا بورصة ولا حتى مضاربات حقيقية، وإنما اتفاق على اقتسام المال السايب، وايضا اموال ابناء مشيخات الخليج الذين غرروا بهم وجاءوا بما لهم الى بورصة الكويت!.. فخسروا ما لهم وخسروا ثقتهم في المشاركة العربية.

كانت الاسهم الوهمية للشركات الوهمية هذه تباع بسعريصل الى ثمانمائة في المائة من سعر الاصدار، ولا اسهم مناجم الماس في جنوب افريقيا! والسبب كما قلنا هو الدعم الحكومي، ولذا ففور وقوع حادثة سوق المناخ هذه بادرت الحكومة فدعمت شركاتها الخاسرة بمليار وثلاثمائة مليون دولار.

وكان لابد أن ينهار الوهم وينكشف النصابون، فإذ دخل الجيش الايرانى المحمرة،

حتى هربت الاموال من الكويت ، كالعادة — وهرع حملة الشيكات من تجار الاسهم والسندات يطلبون الدفع .. ولا رصيد .. وانهارت البورصة المزعومة عن ٩٣ مليار دولار .. ومجموع ديون مصر الخارجية هي ١٨ مليارا فقط .. أى أن ستة آلاف مضارب كويتي ومتكوييت ممن يقدمون « خدمات جليلة » هانم ! مدينون بخمسة أضعاف الدين القومي المصري !!^١ .

ألم نقل لكم أن الأمة العربية تقف على رأسها ، وتواجه العالم بمؤخرتها المنفوخة على الفاضي !

وجاءت بعثة من « متحف الشمع » في لندن لعمل تمثال لمن سموه « اكبر مفلس في التاريخ » وهو « جاسم المطوع » الذي كان يعمل موظفا في الحكومة بتسعمائة دولار في الشهر ، وكان سعيدا بعمله ومن عائلة طيبة عريقة ، فلما جاء المال المشبوه ، دخل اللعبة وخرج مدينا بمبلغ ١٢,١ مليار دولار أي ثلثي الدين المصري ودائنا بمبلغ ٦,٩ مليار دولار أي مايزيد على مجموع ماتدعي دول النفط أنها قدمته لمصر من حرب ١٩٦٧ الى كامب ديفيد أو ضعف ماعرضوه على مصر لكي لا توقع كامب ديفيد !

تمثال جاسم المطوع في متحف مدام «تسو» في لندن يحمل لقب « اكبر مفلس في التاريخ » ولو كانت الكويت تمارس الصدق مع النفس لكتبت على بورصة سوق المناخ : « اكبر افلاس للسياسة الاقليمية في النفط وقصر النظر والجشع » .

ونموذج آخر من الاتفاقيات التلافية النفطية ، هو شراء الكويت لشركة « سانت في » الامريكية ، فقد كانت نموذجا للغفلة والنصب معا ، فالشركة الامريكية تملك امتيازات تنقيب عن النفط والمعادن في امريكا وأحد فروعها يعمل في الابحاث النووية ، أى فيها مايكفى لاشباع الادعاء الكويتي ، ونشر المانشات التي تتحدث عن دخول الكويت عصر الابحاث النووية ، واستثمار آبار النفط في قلب امريكا والسيطرة على اقتصاد اوروبا الى آخر هذا الهذر ..

ولما كان المبلغ الذي عرضته الكويت مذهلا وهو ملياران ونصف مليار دولار ، فقد حرص الامريكيون — حتى على المستوى الحكومي — على تشجيع الكويت حتى يتم الارتباط ودفع المبلغ فنشرت الوشنطن بوست مقالا بقلم « كيث بترسون » تحت عنوان : « الحكومة ستسمح للكويت بالتنقيب عن المعادن في الاراضي الامريكية ، وان ادارة ريغان تستعد للسماح للكويت بالتنقيب عن المعادن في اراضي الدولة ، و ينتظر ان يصدر

(١) وبالمصادفة ايضا خمسة اضعاف رصيد بريطانيا العظمى من النقد الاجنبى !

قرار وزير الداخلية (جيمس وات) في الاسبوع القادم ، وسيعلم ان الكويت دولة متجاوبة ، بموجب قانون التراخيص الذى يشترط المعاملة بالمثل للحصول على امتياز تنقيب وقال ان كندا وقبرص والسويد تضع قيودا على الاستثمارات الامريكية ، ولكنها اعتبرت دولا متجاوبة لها حق الاستثمار في امريكا ونفس الشيء ينطبق على الكويت وصرح الوزير بنفسه في لقاء تليفزيوني ان الوزارة تميل لاعلان الكويت « دولة متجاوبة » واعلنت اللجنة الفيدرالية للاستثمارات الاجنبية في امريكا « أنه لا اعتراض لديها على الصفقة » ، واعلنت وزارة الدفاع ووزارة الطاقة رضاهما عن الوضع النووى للشركة ، وصدر بالفعل قرار بالموافقة على حق الكويت بالتمتع بامتيازات النفط ووقع القرار نائب الوزير « كاري كارتير » .

وتورط « عبد المبارك » ودفع المبلغ وهو ملياران ونصف مليار دولار بعد خصم العمولات للسماسرة الذين تلاحقهم الآن محاكم امريكا ، واصبحت الكويت رابع دولة من ناحية حجم الاستثمارات في امريكا عن عام ١٩٨١ (كندا - بريطانيا - فرنسا - ... الكويت !!) بل واكبر مستثمر اجنبي في النفط الامريكى على الورق ! ..

وتشكل مجلس ادارة الشركة وعين ثلاثة كويتيين اعضاء في مجلس إدارة الشركة الام هم عبد الملك الغرابلى ، والشيخ على (ابن الشيخ جابر العلى وزير الاعلام السابق ، والذي دفعه حقه على الاسرة وأوهامه عن ولاية العهد الى التآمر مع دولة اجنبية ضد الكيان !) وعبدالرازق ملا حسين ..

ونظراً لسمعة الكويت السيئة في معاملة « الاجانب » فقد حرص مجلس الادارة على تطمين العمال الامريكان باعطاء امتيازات وعلاوات ، كما اعتمد مبلغ خمسين مليون دولار لتطوير أعمال الشركة ! وبعد ما أصبح المستثمر الكويتي في المصيدة ، والمال في خزائن الامريكيين كانت المفاجأة :

قالت السلطات الامريكية ، لا يجوز لشركة عربية أن تعمل في الحقل النووى أو أن تمتلك مؤسسة نووية ، واكد الجانب الكويتي حسن نواياه ، وان اجاث الشركة مرتبطة بعقود حكومية امريكية ، « وليس لديها أى سبب أو نية للعمل ضد السياسة الامريكية أو اصدقاء اسرائيل » الذى يضعون « فيتو » على أى نشاط عربي ذرى حتى ولو كان في امريكا وتحت إشراف « العم سيمون » أو سام سابقا .. وزاد الجانب الكويتي فوعده بأن الشركة لن تطلع حتى الشركة الأم في الكويت على الجانب الذرى من نشاطها ، ورغم يقين السلطات الامريكية بصدق الوعد ، بل وحتى لو اطلعوا لما فهموا .. إلا أن هذه

السلطات أصرت ، وتنازل الكويتيون وقبلوا تصفية النشاط الذرى للشركة ، مع أنه كان « أبرز المنجزات » في الحديث عن دور الاستثمارات الكويتية في ضمان مستقبل الاجيال ووضع الكويتي فوق الشمس ! ..

وجاء الدور على امتيازات النفط ، قالت السلطات الامريكية : اذا انتجتم نفطا في امريكا ، ونشبت حرب بين العرب واسرائيل وقرر العرب قطع النفط .. فاذا تفعلون ؟ .. تقدم الكويتيون بتنازل خطير ، وهو تعهدهم بعدم قطع النفط وعدم الالتزام بأى قرار عربي فقد تعهد ممثل الجانب الكويتي الشيخ « عبدالرازق محمد ملا حسين » مانصه حرفيا : « في حالة وقوع مقاطعة عربية نفطية فإن شركة النفط الكويتية (الشركة الام لسانتا في) لن تطلب منها العمل ضد المصالح الامريكية » .

اي لن تنفذ قرار المقاطعة حتى لو التزمت به حكومة الكويت .. بل حتى لو صدر القرار احتجاجا على غزو الكويت ذاتها !

وما الثمن ؟ .. ملياران ونصف مليار دولار لو انفقت على استخراج نفط السودان لكان في الاسواق منذ سنوات ، ولدعم اقتصاد عربي ، ووطن عربي .. وعاد بعشرة اضعاف الربح الذى كان يأمله الكويتيون لاستثمارهم الفاشل ، وبلا تنازلات قومية ووطنية .. وماذا كانت النتيجة ؟ .. الغت الحكومة الامريكية حق الشركة بالعمل في النفط لان المالك الجديد - أى الكويت - لا يسمح للشركات الامريكية بالعمل في النفط بالكويت !

لا طاقة ذرية ولا نفط !! وهكذا أصبحت الشركة بلا عمل ، وذهبت مع الريح الفان وخمسمائة مليون دولار .. « ومال الكذا يروح هيك » كما يقول المثل اللبناني القبيح ! ..

كتبنا ذلك منذ اكثر من عام فقامت علينا صحافة الكويت ، ومنذ اسابيع قالت صحيفة الوطن الكويتية (١٢ / ١١ / ١٩٨٤) تحت عنوان : « هل أصبحت سانتا في عبثا ؟ » كلنا نذكر الضجة التى اثيرت عندما اشترينا شركات « سانتا في » الامريكية ، وبعضنا لا يزال يذكر دفاع الحكومة وقتها عن الصفقة هذا الدفاع الذى بالغ في امكانيات سانتا في ودورها المنتظر في دعم اقتصادنا الوطني ، بينما ظن البعض انها افضل استثمار لزيادة الدخل الكويتي . وقد ضللتنا الحكومة الامريكية والاعلام حول الصفقة ، ولكن ما ان تمت ودفعنا المبلغ ٢,٥ مليار دولار حتى افتعلت الحكومة الامريكية مشكلة مع الشركة والغت امتياز عملها في امريكا . والآن بعد ٣ سنوات فإن الشركة تترنح ، وهو ما توقعه الخبراء وقتها . ولذا تتجه الحكومة الكويتية لدعم الشركة باعطائها عقدا بـ ٤,٤ مليار دولار

لتطوير مصافي ميناء الاحدى .. وهكذا تلجأ سائنا في للاقتصاد الوطنى تطلب الدعم بينا
كنا نرجوها لدعم اقتصادنا» ! .

قلنا هذا من سنة ٢ قالوا اطلع من البلد .. وبالطبع ستحول الارباح والاجور لأمريكا
وستدفع الضرائب للعم السام فهى شركة أمريكية المقر .. أى اننا عدنا للصيغة الطبيعية
وهي استثمار امريكا للكويت وليس العكس مع فارق ان الاستغلال الامبريالى يتم الآن
بمال الكويتي وتحت الراية الكويتية والغاوى ينقط بغترته أو طاقته ! ..

هل هذا هو الاستثمار؟

٢,٥ مليار دولار لوا نفقت على استثمار نفط الصحراء الغربية أو السودان أو تطوير
صناعة الفوسفات في المغرب أو تعمير الساحل المصرى - التونسى ، أو تطوير الصناعات
الحربية فى مصر ، ألم يكن العائد الاقتصادى والقومى - الكويتى اكبر؟ ! ..

ولكن الذى خطط لكي تصبح أضعف الكيانات العربية هي الاكثراء ، والذى جعل
النفط رمزا للأثنية الاقليمية الضيقة الافق ، الشرهة الخلق ، لم يكن بالذى يسمح باستثمار
هذه الأموال في الوطن العربي أو فيما يعود على العرب أو حتى على دول النفط بالمصلحة
والارباح .. ولذلك احاط الاثرياء الجدد بالافاقين الذين ادعوا الخبرة العالمية والقدرة على
التحول من مدير شئون اولاد وخدم قصر الامير الى مفاوضة الحكومة الامريكية وشركة
مرسيدس ومنافسة موبيل او ايل فى امريكا ، واقتنعوا النفطيين بانهم عباقرة !!

لماذا تمول الكويت مصنعا لسيارات فولكس واجن فى البرازيل ؟ ولماذا ليس فى مصر
أو العراق أو المغرب .. أو البحرين ؟ أليس المال العربى بقادر على انتاج سيارة عربية ؟ !
واذا لم يكن لماذا ليس مصنعا للفولكس فى بلد عربى ؟ !

لماذا تنفق الكويت نصف مليار جنيه استرلينى لتجميل مدينة لندن وحل أزمة المكاتب
التجارية فى عاصمة الدولة التى احتلتنا اكثر من قرن ، ولم تخرج حتى زرعت لنا
اسرائيل ؟ !

لقد تبذرت كل الاكاذيب التى قيلت حول الاستثمار العربى فى اوروبا وامريكا ،
وعندما صدر القرار الأمريكى ضد شركة « سائنا فى » وتنادى مغاوير الصحافة الكويتية
بالويل والشبور وعظام الامور ، صرح مشول أمريكى بكل هدوء : ان الكويت لاتملك
وسيلة للانتقام ، لأن السوق المالية الاوروبية غير قادرة على استيعاب مفاجىء للاستثمارات

(٢) وبعد سنة اخرى أثير استجواب فى البرلمان يتهم المسئولين فى الصفقة بالرشوة والاضرار بمصالح ومستقبل الاجيال
القادمة !

الكويتية اذا ما قررت المهاجرة من امريكا» وهذا ما اكده رئيس وزراء الكويت وولي عهدها عندما قال في بيانه امام مجلس الامة «نحن لانملك حيلة ازاء القرار الامريكى فلانقدر على سحب استثماراتنا من هناك ولاقطع النفط يؤثر عليهم» يعنى اشربوه واسكتوا!! .

وقال رئيس التحرير الكويتى لمجلة «العربى» اننا نخطط للعيش على ايراد استثماراتنا في الغرب ، وهاهم يضغطون على شريان الحياة هذا ، فالיום سانتا في وغدا غيرها .. اننا منزعجون ونتساءل ماذا تريد امريكا ..

وهويذكركنا بالنكتة المشهورة .. التى آخرها «تفتكر كان عايز ايه يا عثمان ؟» !!

ولقد علق وزير المالية السعودى على الحادث بقوله : «ان المال المستثمر بالخارج مخاطراته اكثر ومردوده اقل ، وهو على كل حال يخضع لسلطة سياسية اخرى ، وبالتالى فسيطرة صاحب المال عليه اضعف بكثير من سيطرته عليه اذا ما كان في بلده» .

وهذا صحيح .. وصحيح ايضا أن السعودية ركزت على الاستثمارات الداخلية .. فهل كان هذا هو الاستثمار الأمثل ، وهل كان عائده في المستوى المرجو؟ .. أم كان في بعض الحالات زراعة في البحر واكبر عملية نهب مارسها الدول الصناعية ضد شعوب العالم الثالث منذ ايام الخرز الملون ، «وسلطانية» أوتاج الجزيرة ؟ .. !



.. « ومن حق المواطن أن يسأل .. لماذا
نحتاج إلى سمسار لبناني بثلاثين مليون
دولار في دولة تعد في مرتبة الصدارة ومن أجل
شبكة تليفونات ..؟! »



قلنا ان الارتفاع المفاجيء في الدخول لدول النفط وبنسبة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم ، (سعر البرميل ارتفع من أقل من ثلاثة دولارات للبرميل عام ١٩٧٢ الى ٣٤ دولارا عام ١٩٨٢ أى اكثر من ٣١ دولارا زيادة ، مع ارتفاع الانتاج في حالة السعودية من ثلاثة ملايين برميل يوميا الى عشرة ملايين ! .. وارتفع الدخل من ١,٢ مليار دولار سنة ١٩٧٠ الى ١١٠ مليارات سنة ٨١ أى تضاعف مائة مرة خلال عشر سنوات وهو ما لم يحدث في التاريخ لأى بلد) .

هذا الارتفاع ، مع الاصرار على الاستثابرة ، خلق رغبة في تغطيته أو تبريره ، بافتعال ميزانيات خرافية ومشاريع وهمية فقفزت الميزانية في بعض دول الخليج الى مايفوق مجموع الدخل القومى لبعض دول أوروبا ! .. وسمعنا عن مشروعات من طراز كبارى عبور المشاة في بلدة الشارقة التى لا يزيد تعداد سكانها عن ٣ عمارات فى حى شبرا .. وتنافس على بناء اكبر مطار في العالم في دول ستعود قريبا ، ان لم تكن قد عادت ، الى العزلة الطبيعية التى كانت تجعلهم يتشوقون الى الضيف الى حد اغراء عبيدهم بالبحث عن الضيوف : « ان جلبت ضيفا فانت حر » ..

اكبر مطار في العالم في دول لا تملك طائرة واحدة من صنعها ، ولن تملك خلال خمسين سنة ! .. بل ليس لديها طيار من ابنائها ! ..

كان مال النفط كما قال المستشرق الفرنسي ، هو الذهب الاسباني ، الذى تسبب لافي تقدم اسبانيا بل تخلفها ، فقد حصلت اسبانيا على الذهب بطريق النهب ، وبلا جهد انتاجى ، فأصبحت اغنى دولة فى اوروبا ، وذلك لسبقها في الاستعمار .. ولم يجد الاسبان حاجة للانتاج ، فالسفن تحمل الذهب من المستعمرات وتلقيه فى خزائهم .. ولذلك اضطرت دول اوروبا الغربية مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا الى زيادة الانتاج وتطوير الصناعة لكى

تبيع انتاجها للاسيان وتحصل على الذهب ، فتقدمت هذه الدول ، وتخلفت اسبانيا ثم نفذ الذهب فاعقب التخلف الفقير..

كذلك تصور عرب النفط أنهم يستطيعون شراء التقدم بدلا من صنعه ، ولو فكروا في صنعه لاتجهوا الى العرب الاكثر استعدادا للتصنيع ، ولكنهم اتجهوا لاسواق أمريكا واوروبا ، يشترون منها منتجات التكنولوجيا من المصانع ومظاهر الحضارة ، وعاملتهم أمريكا واوروبا من خلال السماسرة ، معاملة تخزي تاريخ الحضارة الغربية ، فاذا كانوا في الغرب يشبهون بالرشوة عند العرب فإن الشركات الأمريكية والاوربية هي التي تقدمت بالرشاوى ، وهى التي فرضت أسعارا تصل الى درجة السرقة والنصب والاحتيال .. ولسنا نريد التشهير بأحد ، ولاتسجيل الحسائر الفادحة التى نزلت بالعرب النفطيين لأنهم سلموا اقتصادهم للنصابين والقوادين والمتشردين من غير ابناء الوطن ، ولامن الدول ذات الحضارة والقيم وبعض التدين ، أو المنضبطة الى حد ما ..

انظر مثلا كيف طلبت شركة ستة آلاف مليون دولار لتنفيذ شبكة التليفون في بلد خليجي ، فلما ثارت الشركات الأمريكية المنافسة ، وطلبت حرية المنافسة ، وأصدر رئيس الدولة قراره بطرحها في مناقصة ، بادرت نفس الشركة فتقدمت بعرض بثلاثة آلاف مليون دولار لتنفيذ نفس العملية ، أى انها كانت تضيف الى الفاتورة مبلغ ثلاثة آلاف مليون دولار مجرد زيادة بلا سبب ولا مبرر.. الا النهب الصريح ، وتواطؤ الجانب العربي عن طريق السماسرة ، ثم تأمل أن شركة اخرى نفذت شبكة تليفونية مماثلة في الصين ، التى يبلغ تعدادها مائة ضعف تعداد دول الخليج كلها ! .. نفذتها بأقل من قيمة العمولة ، وقد قيل ان عمولة « دافيد زنبر » - وهولبناني مسيحي - بلغت ثلاثين مليون دولار ! ومن حق المواطن هناك أن يتساءل .. لماذا نحتاج الى سمسار لبناني هل نحن « داهومى » دولة مجهولة تحتاج الى من يعرفها بشركات التليفون ، أم اننا نريد شراء مصنع نووى والعالم يقاطعنا فنحتاج الى وسيط أو مغامر .. لماذا سمسار بثلاثين مليون دولار في دولة تعد فى مرتبة الصدارة ، ومن أجل شبكة تليفونات ؟ ! ..

ثم خذ عقد شركة « وايتكر » وهى شركة أمريكية حصلت على عقد منذ عشر سنوات لادارة خمسة مستشفيات في دولة نفطية ؟ كم قيمة العقد ؟ ١,٤ مليار دولار سنويا ، اى انها حصلت على ١٤ ألف مليون دولار (رقم ١٤ وأمامه ثمانية أصفار !) أو مايكفي لادارة جميع مستشفيات العالم الثالث لمدة قرن ! وتخيل لو شكلت هيئة طبية عربية من النفطيين وغيرهم وانفقت هذا المبلغ على تطوير الصحة العربية وفي مقدمتها ادارة هذه المستشفيات الخمسة ؟ !

المهم في فبراير ١٩٨٣ تجدد العقد للشركة الامريكية بمبلغ ٢,٢ مليار دولار بسبب ارتفاع الاسعار! ولكن لامر ما قرر وزير الدفاع الغاء العقد في نوفمبر وطرحه في مناقصة دولية، وتقدمت نفس الشركة بعطاء قدره ١,١ مليار أى نصف قيمة العقد، ولم تفز بل رسا على عدد من الشركات البريطانية والامريكية.. بكم؟ (اكنتم الشبهة من فضلك): بأربعمائة مليون دولار اى أن الشركة ظلت تسرق هى والمحبون من أهل يابخت من نفع واستنفع، ألف مليون دولار خالصة مغلصة بل ورفعتها الى (٢,٢ - ٠,٤) ١,٨ مليار فى آخر عقد زيادة عن النفقات والعمولات والارباح التى تتوقعها الشركات الجديدة فهى ليست متطوعة!.

وقد أدت اذاعة نبأ الغاء العقد الى هبوط اسهم الشركة في بورصة نيو يورك من ٣٢ دولارا للسهم الى ١٨ دولاراً!.. وهذا يعطى فكرة عن أهمية العقد الذهبى أو العقد الفريد! فاذا انتقلنا الى مشاريع التنمية، نجد تأكيداً على نجاح السعودية في زراعة القمح والبتروكيماويات، بالنسبة للقمح فهناك اعتراضات منها ما قدمه وزير الزراعة الامريكى خلال حوارهِ العلنى مع وزير الزراعة السعودى الدكتور عبدالرحمن آل الشيخ، فقد نصح الوزير الامريكى بوقف زراعة القمح وشراؤه من الخارج لأن طن القمح السعودى يكلف الدولة ثلاثة آلاف وخمسمائة ريال بينما ثمنه عالمياً سبعمائة ريال. ولكى تحقق المملكة الاكتفاء الذاتى (٩٠٠ ألف طن) ستحتاج الى دعم حكومى يتخطى ثلاثة آلاف مليون ريال سعودى، وقد رد عليه وزير الزراعة بأن الاكتفاء الذاتى من القمح هو هدف استراتيجى وان نصيحة الوزير الامريكى ليست لوجه الله والحقيقة بل لصالح زراع القمح الامريكىين. وهذا صحيح كل الصحة، ولكن تبقى حقيقة استحالة استمرار هذا الدعم مع انخفاض دخل النفط وان الحل الافضل هو تخزين احتياطي طوارئ كما تفعل امريكا بالنسبة للنفط فهى تخزن ما يكفىها ثلاثة شهور فى حالة توقف الواردات تماماً، وفي نفس الوقت يمكن للسعودية أن تحقق الاكتفاء الذاتى «عربياً» بتوطين فلاحين عرب يخفضون نفقات الإنتاج أو بتشكيل شركات عربية مشتركة لزراعة القمح حيث تتوفر الاراضى والماء واليد العاملة الرخيصة.

اما صناعة البتروكيماويات فرغم نجاحها ورغم امتلاك الشركات الامريكية والبريطانية خمسين بالمائة الا انها تلقى معارضة شديدة في السوق العالمى. ولا مستقبل لها الا فى ظل استراتيجية عربية، وهى بوضعها الحالى «لوحقت اقصى اهدافها فلن تعوض المملكة إلا عن ٣٠٠ ألف ب/ى» (وشنطن بوست).

المهم ان مشاريع التنمية لم تحقق الهدف المرجو وهو خلق قاعدة انتاجية، واهم من ذلك

لم تحدث التطور المطلوب في المجتمع ، لأن العقلية النفطية القائمة على حصر عدد المنتفعين بقوانين الجنسية وقيود التملك بالاضافة الى التخلف الموروث ، جعلت المال يندفع الى الخارج ، وكأن حكومات هذه الدول تدعو الاجانب والغرباء الى نهب اموالها ومغادرة البلاد ! ..

و يكفى لمعرفة طبيعة هذه التنمية ، أن نتأمل تصريح « خالد فايز » المدير السعودي ، لبنك الخليج الدولي عندما قال : « ان وقف مشروعات التنمية لن يؤثر على الاقتصاد الوطنى في دول الخليج ، لأن : أى مشروع في الخليج ينفق مابين سبعين وثمانين بالمائة من اعتماده خارج دائرة الاقتصاد الوطنى في الخليج ! ..

فهذه الألوف من الملايين التى تعلن كل سنة للتنمية ، ينفق منها خارج الوطن مابين سبعين وثمانين بالمائة ، ولا ينفق داخل الوطن الا مابين عشرين أو ثلاثين بالمائة ، ولكن كم من هذه الثلاثين بالمائة يبقى فعلا داخل الاقتصاد الوطنى .. وهذا ينقلنا الى العمالة ، حيث الصورة اقبح ، لأن الطبقة العاملة اجنبية بالكامل ، وهي ظاهرة نفطية لاعلاقة لها بحجم السكان ، فحتى نيجيريا التى تقدر القوة العاملة فيها بثلاثة وثلاثين مليون نسمة .. استوردت أيام الفيضان النفطي اكثر من مليوني عامل .. واكثر من نصف سكان الكويت من الاجانب واكثر من سبعين بالمائة من سكان دولة الامارات اجانب ، وقد تنبأ الدكتور عبدالله فهد النفيسى الاستاذ بجامعة ابوظبى انه في عام ١٩٨٥ سيكون المواطنون والوافدون العرب ٨٤% من سكان الامارات ، وفي المملكة ما لا يقل عن مليوني اجنبى ..

وبسبب السياسة العنصرية القصيرة النظر ، فإن هؤلاء العمال يجمعون اكبر قدر ممكن من المال ويغادرون البلاد به .. فلا خلقت طبقة عاملة وطنية ، ولا اندمج الدم المهاجر بخبراته ورغبته في العمل ، ولا استفادت البلاد من الأجور الفادحة التى تدفع هؤلاء العمال والخبراء^١ (للولايات المتحدة حوالى ستين ألف امريكى يعملون في السعودية يحولون شهريا ما لا يقل عن ربع مليار دولار و يعملون في بناء منشآت عسكرية قيمتها ١٩ مليار دولار منها مقر قيادى مركزى يتكلف أربعة آلاف مليون دولار (تحقيق الوشنطن بوست ديسمبر ١٩٨٤) .

ثم ماهي حصة الرأسمالية الوطنية من هذه العشرين أو الثلاثين بالمائة .. ؟ يكفى أن

(١) وهكذا ترى ان جشع اهل النفط قد انقلب عليهم ، فلو كانوا قد سمحوا بالتجنيس والتقليك للعمال والخبراء العرب لاستثمرت النسبة الكبرى من هذه الاموال داخل الدول النفطية وشكلت قاعدة ثابتة لاقتصاد وطنى وسوق وطنية تواجه مرحلة ما بعد النفط ، ولكنهم آثروا التفكير الاناني الضيق فخرجت الاموال في ايام الرخاء ، وذهب العمال أو القوة الشرائية في ايام الضائقة وبقي الوطن والمواطن بالتأسيس صفر اليدين والتاريخ !

مجلس الوزراء اصدر قراره في ١٧/٦/١٤٠٣ بالزام كل مقال اجنبى باسناد مالا يقل عن ثلاثين بالمائة من الاعمال المتعهد بها الى مقالين سعوديين .. وهذا يعنى انه حتى تاريخه أى قبل عامين لم يكن المقال السعودى يحصل ولا على ثلاثين بالمائة مما يبنى أو ينفذ بمال دولته ! .. وهذا يجعلنا نتحفظ كثيرا على ادعاء ان السياسة الاقليمية كانت لصالح « ابن الوطن » ..

وأخيرا هل هذا القانون الذى صدر لصالح المقالين السعوديين ، يخدم فعلا « ابن الوطن » أم المتجنسين ؟ .. ورحم الله الملك خالد الذى قال للجهوجي : « اعطي الشوام » ! وآخر الامثلة هو ماروته « الوشنطن بوست » عن نشاط لبناني متجنس ، جاء للمملكة بعد ان تخرج من الجامعة العربية في بيروت ، وهي الجامعة التي بناها عبدالناصر في بيروت وما زالت مصر تنفق عليها ، وكان يحرم دخولها على المصريين ..

جاء المغامر اللبناني الى السعودية وعمل بمرتب قدره ستون ريالاً في الشهر وذلك منذ عشرين سنة ، وهو الآن يبنى مستشفى في بلده صيدا ، وينظم منحة دراسية لستة آلاف طالب في جامعات اوروبا وامريكا (فهو لا يثق بالجامعات العربية رغم نجاحها الباهر معه) ! ولا يشترط في الطالب « الا أن يكون لبنانيا ولا يهم إن كان مسيحيا أو مسلما » ونسى المصرى الذى دفع ثمن تعليمه .. والسعودى الذى نهب امواله ! ..

وأصبح يمتلك شركة « عجر » للمقاولات ودخله السنوى من المقاولات السعودية ٢ مليار دولار ! وانفق ثلاثمائة وخمسين مليون دولار لتعمير لبنان قبل ما يخرج جيش اسرائيل ، وقد ادعى ان « الكتائب » نهبت المبلغ ! ويقال انهم اقتسموه فهو من مال السلطان ..

الى هنا ولا بأس . فهذا هو الحال ولكن المغامر اللبناني أصبح سعوديا بالتجنيس ولبس الدشداشة ، وتحول إلى « الوسيط السعودى » في معالجة الازمة اللبنانية ، بل ابعد « على الشاعر » الذى كان يدير لبنان بأصبعه الصغير ودقر شيكاته .. ليخلو الجول للوسيط السعودى اللبناني الأصل ، وانتهت جهوده بنسف السفارة السعودية ، وسحب السعودية موظفيها ورعاياها ، واغلاق سفارتها في لبنان لأول مرة منذ أن اعترف عبدالعزيز باستقلاله قبل أربعين سنة ! .. مع اتهام حكومة لبنان بالتواطؤ لأنها كانت تعرف ولم تتخذ أى اجراء ولا حتى تحذير السفارة .. والذين حرقوا السفارة من المسلمين الشيعة ، ورئيس الحكومة المتهم مسلم سنة !!

وليت الامر وقف عند هذا الحد .. بل في وطن ابن باز وآل الشيخ وسلطان بن مجاد

وجامعة ابن سعود والحرمين يعهد الى شركة «عجر» بالاشراف على طبع المصحف ! فقد عهد الى «عجر» هذه ببناء مؤسسة فهد للمصحف الشريف في المدينة وتكلف البناء ٢٨٥ مليون دولار «صحتين على قلبه» .. رغم وجود مقاولين سعوديين لهم سمعة عالمية ، بل الاغرب ان يعهد لهذا اللبناني الذي لا يستطيع تشكيل الفاتحة ، بادارة المؤسسة مقابل مائة واربعين مليون دولار سنويا .. بادعاء أنها ستطبع ٨ ملايين نسخة من المصحف وثلاثين الف فيديو وكاست كل سنة ، وبالطبع كان يمكن لأى شركة نشر سعودية أن تنجز هذا الأمر بأربعين مليوناً ، وأى شركة عربية برئاسة مفتى الديار تنجزه بثمانية ملايين دولار! .. ولماذا لاتديرها وزارة الاعلام ووزيرها ابن شيخ المسجد النبوى ومن كبار المقرئين للقرآن ! ..

ولكن مدير عجر يدعى انه اكتشف ثلاثة آلاف خطأ في المصحف ، الذى جاء هو لتصحيحه !

رحم الله الناسخ التركى أو الاوزبكستاني أو الفارسي — الذى باذن الله — حفظ المصحف قبل أن يظهر صاحب «عجر» وندفع له مائة واربعين مليون دولار لطبع مصحف الأمين ! ..

والسؤال .. هل الصورة مظلمة الى حد اليأس ؟

والجواب بالطبع لا ..

وانما الحل يحتاج لعزيمة رجال يتخذون قرارات مصيرية :

عربيا

وداخليا

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

« إن تعريب النفط ، سيمنح المجموعة العربية من ضبط إنتاج وسلوك المشيخات والمشايخين ، كما سيفرض على الدول المعادية حساب مخاطر المواجهة العسكرية مع المجموعة العربية وليس مع دول قليلة العدد والعدة .. »

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

هذا الحديث ، ينبع من الحرص على الدول النفطية ، وبصفة اساسية المملكة ، فلا هو شماتة ، ولا هو يصدر عن ظن بانتهاء دورها وأهميتها بانها دخلها ، بل بالعكس اننا نحرص على ان يكون لها دور حقيقي وفعال ، ونتقدم من مواقع المحبة ببعض الحلول ..

فكما ان السعودية هي المتضرر الأول من انهيار صناعة النفط ، فانها في نفس الوقت ، القوة الوحيدة القادرة على فرض ارادتها — نظريا — والوحيدة القادرة على الدخول في معركة كسر عضم مع الدول التي تتلاعب بالسعر أو تحاول التحكم فيه ، مثل بريطانيا العدو التاريخي للمملكة ، والتي تحاول الآن السيطرة على سوق النفط ، (خامس دولة منتجة ٢,٧ مليون ب/ي وتوجه انتاج النرويج ١,٣ مليون ب/ي أى هما معا ٤ ملايين ب/ي وانتزعت بريطانيا مكان السعودية في واردات أمريكا من النفط ، ومع ارتفاع سعر الدولار بالنسبة للاسترليني فإن انخفاض السعر لا يهم الانجليز كثيرا) ^١ . ولكن السعودية تملك ٢٥% من احتياطي النفط العالمي ، وهي والدول العربية تملك ٥٥% من هذا الاحتياطي ، والسعودية تستطيع رفع انتاجها الى عشرين مليون ب/ي واغراق السوق العالمي ، ولتوحد الموقف العربي أو على الأقل السعودية ومشيوخ الخليج ، لأمكن وجود قوة قادرة على

(١) وانظر كيف تسلم السعودية نفطها للانجليز لكي يسرقوا منها اسواقها ، ففي اتفاقية السلاح التي اعلن عنها هذا الشهر والتي قيل انها تمت مع بريطانيا مقابل ثلاثة مليارات جنيه استرليني أو دولار (لأحد يعرف) ولكن قيل ان الثمن سيدفع جانب منه في شكل نفط خام تبينه بريطانيا . وبالطبع لا يوجد عاقل في العالم ولا حتى في مكتب وزير الدفاع يمكنه ادعاء حاجة السعودية للطائرات المشتراة ولا قدرة السعودية على استخدامها فنيا أو سياسيا ، ولو انفق هذا المبلغ في تنمية صناعة السلاح العربية لاستكملت المملكة سلاحها الذي تطيقه وتقدر على استخدامه ، بل لو وضعت المملكة هذا المبلغ في رأسمال هيئة التصنيع العربية واشترطت على بريطانيا . والدول المنتجة للطائرة «تورنادو» ان تصنع اجزاء منها بواسطة هيئة التصنيع العربية لاستجابت ، واظن ان اسرائيل اقدر على الحصول على اسرار هذه الطائرة من بريطانيا والمانيا وايطاليا من الحصول عليها من مصر .. وقد صرح المشير ابوغزالة ان المصانع العربية في مصر تنتج طائرة تدريب افضل من التي اشتراها الامير سلطان من بريطانيا واخيرا ربما يكون ضمير المواطن السعودي والعربي اكثر راحة لو صدر بيان رسمي يؤكد انه ما من عمولة ستدفع أو تحصل في هذه الصفقة .

قبل الطبع : قيل ان أربعة من آل ابراهيم سيحصلون على ثمانمائة مليون دولار عمولة !

أحداث رعب حقيقى فى سوق النفط والمال . فإن انخفاض سعر النفط خمسة دولارات أخرى ، سيمنع المكسيك وفنزويلا من القدرة على تسديد ديونها للبنوك الأمريكية (٣٧,٨ مليار دولار) الأمر الذى قد يتسبب فى كارثة مصرفية أمريكية . وخفض دولارين فى البرميل يعنى خسارة سبعمائة مليون دولار لنيجيريا المشاغبة فى ظل حكومتها التى جاءت بها المحابرات البريطانية لتحطيم الجبهة النفطية العربية - الإسلامية ، كما تنبأنا فى مجلة « اكتوبر » فور وقوع الانقلاب .. وهبوط السعر الى ١٥ دولارا يغلق آبار بحر الشمال وايسلندا ويدهور الاقتصاد البريطانى ، ويعيد الترويج الى صيد السمك ! أو يجبر الجميع على التفاهم وقبول قيادة العرب الحقيقية .

ولكن دون ذلك تقف مشكلتان ، الاولى هي اقناع أو اجبار هذه المشيخات على الالتزام بسياسة انتاج واسعار عربية ، وثانيا مواجهة الدول التى ستتضرر من حرب الاسعار ، وهي دول كبرى قد لا تتورع عن الحرب ، أو التآمر ، اذا ما انفردت بمواجهة السعودية او حتى دول النفط العربية وحدها ..

ولسنا نزعم أننا نملك حلا يكفل الحماية الكاملة ، ولكن مانفكر فيه هو تقليل المخاطرة ، وجعل ثمنها فادحا على العدو .. ونعنى تعريب النفط ، جعله قضية كل العرب ، يشتركون فى تخطيط استراتيجيته ، ويتشاركون بنسبة ما فى عائدته ، ويتحملون - كل قدر طاقته - مسئولية الدفاع عنه .

إن تعريب النفط سيمكن المجموعة العربية من ضبط انتاج وسلوك المشيخات والمشاغبين ، كما سيفرض على الدول المعادية حساب مخاطر المواجهة العسكرية مع المجموعة العربية ، وليس مع دول قليلة العدد والعدة .

وهذا الموقف العربي - كما قلنا - لن يتشكل إلا حول نواة مصرية - سعودية ، وقد ناقش الاستراتيجي الأمريكي « كواندت » عضو مجلس الأمن القومى فى عهد كارتر العلاقات المصرية - السعودية فى كتابه « السعودية فى الثمانينيات » قال :

« من ١٩٧٢ الى ١٩٧٧ كان الحديث يجرى حول محور مصرى - سعودى ، وتطلع بعض السعوديين الى خلق مركز قوة عربى مستقر ومعتدل بقوة مصر واموال السعودية ، مع علاقة خاصة بالولايات المتحدة ،^٢ الأمر الذى يحقق أفضل ضمانة لأمن السعودية ، ومن مصلحة

(٢) وهذا هو التيار الذى كان يمثل الشيخ « كمال ادهم » صهر الملك فيصل ، ولما كان هذا التيار رغم اعتداله ، وقناعته بالدور الأمريكى ، يمثل خطرا على المصالح الاسرائيلية والاستراتيجية الامريكىة القائمة على اعتماد اسرائيل وحدها كمشعل وشريك لأمريكا فى المنطقة ، فقد هوى نجم الشيخ ادهم ، وعزله الملك خالد عزلا قبيحا لم يعرف فى التقاليد السعودية ، ثم احترق وسقط الجانب المصرى فى تلك المعادلة .

السعودية أن لا تكون ضدها القوات المسلحة المصرية التي تشكل أضخم قوة عسكرية في الوطن العربي ، وقد عبرت مصر عن رغبتها في تقديم مساعدات عسكرية للصومال والسودان والمغرب وحتى العراق ، وهذا يتماشى مع سياسة السعودية التي تدعم هذه النظم .

ثم يشير الى الحذر السعودي من تجربة غزو محمد علي للسعودية وحرب اليمن .. ولا بأس أن نقف هنا لحظة ، عند قوله إن السعوديين لا ينسون « الغزو المصري » في القرن التاسع عشر وكذلك حرب اليمن .. !!

وهذه « الاحقاد » هي من زرع المدرسة الاستعمارية البريطانية بالذات ، ثم غزتها مجموعة المرتزقة من الكتاب الشوام ، وكان الهدف بالطبع هو منع اللقاء المصري - السعودي لصالح المصالح الاستراتيجية العليا للاستعمار أو لخدمة المرتزقة من العناصر الشامية التي تخشى مزاحمة المصريين . وقد فندت في كتابي (القومية والغزو الفكري ١٩٦٧ والسعوديون والحل الاسلامي ١٩٨٠) هذه الخرافة ، واثبت ان الجيش الذي غزا السعودية في عهد محمد علي لم يكن مصرياً ، فالجيش المصري لم يتشكل الا في عام ١٨٢٤ والحرب في الجزيرة انتهت في ١٨١٨ .. !! أما حرب اليمن ، فقد قلنا وجهة نظرنا فيها في اكثر من موضع ورفضنا بكل قوة موقف السلطة المصرية ، ومازلنا ننتظر وجهة النظر الاخرى من الكتاب السعوديين . وفي رأينا ، أنها كانت مظهراً من مظاهر الصراع الامريكي - البريطاني ، ولا نريد أن نتوسع فنحن نسعى للقاء لا للخلاف ، وعلى أية حال ، في السياسة لا توجد احقاد ولا ثارات بل مصالح ، ومصالح مصر والسعودية متفقة تمام الاتفاق ، بحيث أن الخلاف هو العارض المؤقت ، واللقاء هو المعقول والمطلوب ، والجدير بالدوام ..

وينبئ « كواندت » الى ارتباط المصالح النفطية السعودية باستقرار الاوضاع في مصر ، فالسعودية المستخدم الاول لقناة السويس من ناحية تصدير النفط أو استيراد احتياجاتها ، ولكن العلاقة دخلت مرحلة جديدة عندما تزايد الخطر حول مضيق « هرمز » الذي يعبر منه كل نفط دول الخليج باستثناء العراق ، ففي خلال الفترة القصيرة التي تعاون فيها النظامان السعودي والمصري (السبعينيات) تم بناء خط « سومد » الذي تمتلك فيه السعودية ١٥ بالمائة والذي ينقل النفط السعودي من ميناء السويس الى غرب الاسكندرية وفي عام ١٩٨٠ كان ينقل ١,٥ مليون ب/ي ويمكن رفع طاقته الى ٢,٤ مليون ب/ي . كذلك أتمت السعودية مخططين (بترولين) عبر الجزيرة العربية لنقل النفط السعودي ، بعيداً عن مضيق هرمز ومتاعبه ، رأساً الى ينبع حيث ينقل من هناك إما عبر قناة السويس أو في خط

« سومد » المصري — السعودي . و ينقل الخطان ١,٨ مليون ب/ى ويمكن زيادتها الى ٢,٣٥ مليون ب/ى بل والى ٤ ملايين برميل يوميا ، وهو ما يكفل الحد الأدنى للاستقرار الاقتصادى للمملكة . وهذا يوضح الارتباط الطبيعى والمفترض بين الرياض والقاهرة ، بل وتناقض المصالح السعودية — الليبية على مستوى النفط لأن النفط السعودى على البحر الأبيض يشكل مزاحما مهما للنفط الليبي .. ومن ثم يبدو غريبا أن تستجيب السعودية للقوابة الليبية التى تريد اغلاق البحر الأحمر وقناة السويس لخلق النفط السعودى في مضيق هرمز ..

يقول كواندت : « يتساءل الكثيرون لماذا اختارت السعودية أن تنأى عن مصالحها الواضحة مع مصر وتحالف مع المتطرفين المرتبطين بالاتحاد السوفيتي » ؟

وهو سؤال محير ، والاجابة عليه تملأ مجلدات .. وتتضمن العديد من العوامل ، و ياليت المثقفين فى مصر والسعودية يتفرغون لدراسة موضوعية للعوامل والقوى التى حرصت على زرع الخلافات وافتعال الحوادث والازمات ، وعندها ستتكشف العجائب والغرائب .. ونشير هنا الى واقعة هامشية جدا ولكنها تستحق التفكير فقد ذكر كواندت فى صفحة ١٨٠ التالى :

« الملك فهد هو أقل عداوة لمصر من كثير من السعوديين ، وقد استاء شخصا من افراد السادات بقرار المبادرة ، ومهاجمته للنظام السعودى ، ولكنه استاء بالذات عندما اعطى السادات حديثا لصحفى كويتي وصف فيه السادات الملك فهد بأنه « » وفى البداية رفض الامير (الملك فيما بعد) فهد أن يصدق صدور ذلك عن الرئيس السادات ، حتى اشترى شريط التسجيل للمقابلة من الصحفى الكويتى ، وسمع صوت السادات بنفسه يقول الوصف القبيح » !!

هل يمكن أن يكون هذا التصرف من الصحفى تصرفا بريئا ؟ !
وخاصة انه كان من اشد المقربين للسادات ٣ ، وانه وحده انفرد بالدفاع عن السادات وعن المبادرة وعن الصلح مع اسرائيل ، وانه وحده فصل من نقابة الصحفيين الكويتيين لأنه دعا للتطبيع أوز زيارة اسرائيل قبل السادات بل وقبل حرب اكتوبر! ..

لابد من دراسة دقيقة موضوعية للقوى التى لم تبخل بجهد لافساد العلاقات المصرية — السعودية ، وهل هى مصادفة أن تكون أول مؤامرة سعودية مزعومة ضد عبد الناصر يبلغها له

(٣) حتى ولو قيل : انه حصل على مليون دولار ثمننا للشريط !

متهم بالخيانة زوج يهودية غادرت مصر فجر الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وطرفها الآخر عنصر مشبوه على صلة وثيقة بالمخابرات الامريكية بل وتحركه احقاد طائفية .. وآخر «وقية» هي تلك التي قام بها صحفي كويتي مشبوه المواقف ؟ ! ..

ولابد أيضا ، بل وأهم ، السمو فوق هذه المؤامرات ، وتقديم الدائم على العارض ، فصلحة السعودية ومصلحة مصر ومصلحة العرب والاسلام هي في التحالف المصري — السعودي .. ففي ظل هذا التحالف كما قلنا قامت الجامعة العربية ووضعت أسس الرفض العربي للظلم الصهيوني ، وتحمرت مصر والسودان وليبيا والمغرب وتونس والجزائر ، واسقط حلف بغداد وأخرج الانجليز من الاردن ..

وكما قلنا ، اذا كان للقيادة السعودية عذرها ومبرراتها في الجفوة مع الرئيس السادات ، فإنه يصعب علينا ، مهما كان حينا وتحيزنا لهذه القيادة ، ان نجد مبررا مقبولا لاستمرار هذه الجفوة ، وقد بادر الرئيس مبارك بالتوجه شخصيا للجزء في الملك خالد ، وخرجت بعض وكالات الانباء تقول أنه اجتمع بالملك فهد ساعة وتحدثا في اوضاع العالم العربي ، وهو استنتاج طبيعي ومتوقع ، حدث مع كل ضيف له علاقة بالسياسة ، لان اسرائيل كانت تغزو لبنان ، وكان الرئيس مبارك هو الرئيس العربي الوحيد الذي اتخذ اجراء ضد الغزو ، ولكن الذي حدث أن الصحف التي تعيش في اوروبا على الدعم السعودي ، أصدرت بيانا يؤكد أن اللقاء لم يتجاوز المجاملات الشخصية ! .. في وقت كان يجري فيه استقبال رسمي للذين ينسقون علنا مع جيش الغزو الاسرائيلي للبنان ! وكيف يتقبل العربي فضلا عن المصري استقبال «بشير الجميل» بالحفاوة ورفض التعزية في السادات ، والتبرؤ من حديث في السياسة مع حسنى مبارك ؟ ! ان كانت الغضبة فعلا لشعب فلسطين ! ..

وعندما جاء الامير طلال الى القاهرة ، كرئيس لمنظمة الخليج ، استقبله الرئيس مبارك مكرما فيه السعودية واولاد عبدالعزيز ، صدر بيان سعودي يؤكد ان الزيارة شخصية ! وهو لزوم ما لا يلزم !

ولما رد الأمير بتصريح في صحيفة «الوطن» الكويتية بأن الجامعة العربية بحالتها الراهنة اثبتت فشلها ، وان الحل الوحيد لأزماتها هو الالتزام برأى والده الملك عبدالعزيز الذي أصر على أن يكون مقر الجامعة في القاهرة لم ينشر التصريح في المملكة !

واخيرا عندما اعاد الاردن علاقته مع مصر ، أصدرت السعودية بيانا تعترض فيه على قرار

الأردن المنفرد^٤ !

وصحيح ان سياسة مصر في عهد رجال اكتوبر تخطت مرحلة الاستفزاز عندما كان رئيس الدولة يهدد « انتف له دقنه » أو « طالع لأمه » ! أو يصف العرب بأنهم « أقزام » .. صحيح أن الوضع تغير، ولكن الجسور تبني اسرع لو عمل فيها البناؤون من الطرفين ، والحب من طرف واحد يفتح الباب لأكثر من عزول .. وهناك أكثر من جهة لها مصلحة في استمرار عزل السعودية عن مصر .

باختصار، ولكي لانقع في اخطار المثل الفلسطيني البليغ : « كثرة الدق تفك اللحم » نحن ندعو الى خطوة استراتيجية تعيد التلاحم المصري السعودي للخروج بالعرب من المستنقع الذي غرقوا فيه ، ولتلافي كارثة النفط ، واذا كان الجيل الذي رباه عبد العزيز ، قد نطق بلسانه الطالب « عبدالله بلخير » عندما اقسم انه لو سارت مصر شبرا نحو السعودية لسعت السعودية ميلا ، فإننا نعتقد ان مصر قد سارت الميل المطلوب ، وانها مستعدة أكثر لوجاءت الخطوة السعودية ، وعسى الا يكون صحيحا قول ام كلثوم : « للصبر حدود يا حبيبي » !

(٤) وقد نشرنا في مجلة أكتوبر بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٨٥ سؤالا موجها للسعودية هذا نصه :

نستأذن القراء في قطع حديث النفط لدقائق لنطرح سؤالا للقيادة السعودية .. نطرحه بكل الاحترام والمحبة والثقة المطلقة في صدق عروبتهم ، والسؤال هو من باب « ولكن ليطمئن قلبي » ، ذلك أنه عندما أعادت الأردن العلاقات مع مصر أصدرت المملكة بيانا رسميا انتقدت فيه التصرف المنفرد للأردن خارج مؤتمر القمة في بغداد ، وقال المجتمعون وقتها إنه موقف حنبلي من قيادة عرفت بالتمسك الحرفي بالقواعد والأصول ، ومنذ أسبوعين أصدرت سوريا قرارا بسحب اعترافها بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وهو القرار الذي صدر بالإجماع من مؤتمر القمة في الرباط ، وانتظرنا بيانا أشد لأن قرار سوريا هو قرار منفرد ضد قرار مؤتمر قمة الإجماع فيه أكبر من الإجماع في مؤتمر بغداد . ونتائجها أخطر على الشعب الفلسطيني وقضيته من استئناف العلاقات بين بلدين عربيين ، ومازلنا ننتظر البيان السعودي ! .

فغضب علينا بنو تميم ولكن لم يرد أحد على السؤال .

« .. الذى أثار مخاوفنا ، وحرك أوجاعنا ، هو ما جاء فى الاتفاقية التى مدتها خمس سنوات بين السعودية والبرازيل ، والتى نتمنى أن يعيد مجلس الوزراء السعودى النظر فيها ، إذا ما عرضت عليه .. »

[illegible]

أحداث صغيرة بل وتافهة قد تحجب امورا خطيرة وتخفي تطورات على جانب كبير من الأهمية ، وعلى سبيل المثال ، حادثة اختفاء اللواء « عبدالله خليفة » في « سان باولو » بالبرازيل ، خلال زيارة الأمير سلطان وزير الدفاع السعودي ، في اكتوبر الماضي ، فقد اهتمت الصحافة وخاصة العربية منها بحادثة اختفاء الجنرال السعودي ، والذي عمل معظم حياته مديرا لمكتب الأمير ، وأشارت اصابع الاتهام لاسرائيل ، « ومافيا » السلاح ، وكامب ديفيد .. ! .. بل وذهب البعض الى احتمال اللجوء واخيرا عثر على اللواء في شقته في لندن وتبين أنه لم يعجبه الحال ، فغادر البرازيل وامريكا الجنوبية كلها وسافر الى لندن دون أن يخطر أحدا ، ولا حتى دفع فاتورة الفندق باعتباره ضمن الوفد الذي تسدد فواتيره السفارة ..

وما بين اختفاء عبدالله والبحث عن عبدالله والعثور على عبدالله ، ضاعت اخبار صفقة القرن التي وقعها وزير الدفاع السعودي مع صناعة السلاح البرازيلية ، وكل صفقات وزارة الدفاع السعودية هي صفقات القرن ، ولكن هذه الصفقة بالذات ، كما تقول المصادر البرازيلية ، هي اكبر صفقة في تاريخ البرازيل ..

وصحيح أن صفقات السلاح العربية مشبوهة ، والبعض يزعم أنه لا هدف من ورائها الا العمولات ، بل وذهب هذا البعض الى ان الاتجاه للبرازيل ، هو بحث عن عمولات اكبر واقل ضجيجا ذلك أن البرازيل كدولة جديدة وصغيرة في سوق السلاح تدفع عمولة اكبر من امريكا أو فرنسا ، وكذلك فإن نظامها السياسي ، كدولة من العالم الثالث اكثر قدرة على اخفاء اسرار الصفقات ، وتفادى الفضائح التي تثيرها الصحافة في الدول المتقدمة .. وقالوا ان اختفاء « الجنرال » كان أحد صور الصراع على العمولات .. وقيل إنه احتج على الصفقة وقال ان هيئة التصنيع العربية قادرة على مزاحمة البرازيل لومنتحت مثل هذه المبالغ ! ..

صحيح أن ذلك قد قيل ، ولكن التعامل مع البرازيل له جوانبه الايجابية التي لا نعترض عليها ، فقد افسد محاولة اسرائيلية لمنع البرازيل من بيع السلاح للعرب مقابل اعطاء

البرازيل حق تصنيع السفينة « جبريل » .. كذلك فإن البرازيل لا تشترط عدم بيع سلاحها لدولة أو طرف ثالث ، ومن ثم يمكن أن يحول السلاح للمقاتلين العرب .. فنحن لانعترض على التعامل مع البرازيل ، ولكن الذى أثار مخاوفنا ، وحرك أوجاعنا ، هو ما جاء في الاتفاقية التى مدتها خمس سنوات ، بين السعودية والبرازيل ، والتى نتمنى أن يعيد مجلس الوزراء السعودى^١ النظر فيها ، قبل اقرارها ، « اذا ما عرضت عليه » .. ونقصد تلك البنود التى تتحدث عن مساهمة السعودية في انتاج مشترك ، وتطوير انتاج بعض الاسلحة في مصانع البرازيل .. فقد جاء في الانباء أن السعودية والبرازيل ستعاونان في انتاج الاسلحة الصغيرة ، كما ستمول السعودية التجارب البرازيلية لانتاج صاروخ برازيلى بحرى بحرينافس الصاروخ الفرنسى Exocert وكذلك انتاج البرازيل لقواعد اطلاق الصاروخ « أستروس » والدبابة « أوسوريو » (٤٢ طنا) . وطائرات التدريب توكانو .. اى باختصار ستمول السعودية صناعة السلاح البرازيلية .

وبوضوح وصراحة ، وان الله لا يستحي من الحق ، أو كما نقول في مصر : على بلاطة .. انا منزعج من هذا وغير سعيد ، فأنا أريد أن ينفق كل مليم عربى ، لتطوير السلاح ، في صناعة السلاح العربية ، التى انشئت في مصر في لحظة صفاء تاريخية ، وموقف استقلالى بعيد النظر غريب عن السلوك العربى ، شاذ في واقعنا المعاصر ، وان كان الطبع يغلب التطيع ، فسرعان ما انسحبوا من المشروع انتقاما من مصر أورئيس مصر بعد كامب ديفيد ، وقد انتقدت موقف العرب هذا وانا خارج مصر وفي نفس الوقت الذى كان فيه وزير الاعلام أو الثقافة لا ادري المدعو منصور حسن أو حسن منصور يبيع البارفان ، يهاجني ويحرض علي مجلس الشعب فيقول إننى شبهتهم بنواب « بوكاسا » فأبرقت اليه أقول انا لم أهاجم ولم انتقد « بوكاسا » فقط !!

لقد كان قرار انشاء صناعة السلاح العربية هو أول قرار استقلالى لتحرير الارادة العربية ، وتحطيم احتكار السلاح فعلا لاتزويرا ودجلا .. وكما قلت كان مخالفا للقوانين التى تحكم العالم العربى ، وكان من الطبيعى أن تتصدى له كل القوى التى تعارض استقلال وتقدم العرب .. فتحاول اجهاضه وتحطيمه ، من سمسرة السلاح الى تجار السلاح الى الدول صاحبة الاطماع في أرض العرب وضعف العرب .. وكانت ضربة قاصمة الانسحاب العربى ، لولا أن حكومة مصر منعت سحب المال ، وصمدت للأزمة ولوبيتضحيات المصرى الفقير ، واكتشف العرب في حرب الخليج خطيئتهم فعادوا على

(١) انظر ما قلناه في الفصل التاسع عن صفقة الطائرات مع بريطانيا وما كان يمكن ان تحققة هذه البلايين من تصنيع جانب كبير من الطائرة في الوطن العربى لودفع المبلغ لهيئة التصنيع العربية التى في حدود علمنا لم تسد الطريق على العمولات ..

استحياء ، مشكور على اية حال ، حتى كانت اتفاقية البرازيل التي لعب فيها الوسطاء اللبنانيون دورهم التاريخي ، وتضاعف الخطر على صناعة السلاح العربية ، خاصة بعدما قطعت شوطا بعيدا في ارساء قواعدها ، واستعدت للانطلاق وهو ما أحست به وتخوفت منه القوى العالمية ، واليك ما كتبه صحيفة « اتلانتا جورنال » في ١٨ نوفمبر الماضي عن صناعة السلاح في مصر » المصريون سيصبحون اكبر منتج للسلاح في الشرق الاوسط ، فهم يشترون خطوط انتاج كاملة من الشركات العالمية ، لأنتاج الاسلحة الصغيرة والذخيرة ومدافع المورتار ، والميدان وطائرات الهليكوبتر حتى قال سمسار سلاح فرنسي ، ربما خلال خمس سنوات سنحمل حقائبنا ونرحل نهائيا من الشرق الاوسط لأن المصانع المصرية ستسد حاجة السوق ، وقال « سيرج داسو » ابن « مارسيل داسو » مصمم الميراج ، ان مصر ستستمر في التوسع كسوق للتكنولوجيا الغربية في صناعة السلاح ، واكد « داسو » ان المشاريع المشتركة مع مصر تشكل استثمارا ناجحا ، وانه يعمل حاليا في مشروع مشترك للدفاع الجوي يعتمد على المدفع المصري (السوفيتي الأصل بتحسينات مصرية) والليكترونيات جوية واجهزة رادار » .

وقد اشارت الصحيفة الى نقطة مهمة ، فرغم أن مصر تقيم مشاريع لانتاج اسلحة متطورة مع اكبر واشهر مصانع السلاح العالمية ، الا انها — كما تقول الصحيفة الامريكية — تنتج أيضا أسلحة ذات تكنولوجيا منخفضة وهي التي تحتاجها الدول النامية » وهذه ملحوظة مهمة جدا أثبتت خلال الحرب الباكستانية — الهندية ، عندما قيل أن الباكستانيين انهزموا في المعركة الجوية لأن طائراتهم (الامريكية) كانت اكثر تقدما من طائرات الهنود (السوفيتية) و يومها كتبت اقول « التكنولوجيا المتقدمة تزيد المتخلفين تخلفا » فستوى انسان العالم الثالث يحتاج الى التدرج في التعامل مع الأسلحة المتطورة ، وهو اكثر فعالية مع سلاح في مستواه من الأسلحة المعقدة التي لا يحسن استخدامها ولا السيطرة عليها ..

ومهما تكن النظريات ، فلا أظن اننى احتاج لتبرير مصلحة العرب في قيام صناعة سلاح عربية .. ويمكن للسعودية ودول الخليج أن تحقق دفعة قوية أمنية وتكنولوجية اذا ما قبلت في حماسة على المساهمة ، ولا أقول الدعم ، في صناعة السلاح العربية بمصر ، والبعيد عن أوهام انتاج السلاح في كل مشيخة أو المشاركة في الصناعات العالمية في بلادها ، ويمكن دعوة الافراد والمؤسسات الخاصة العربية للمساهمة في هذه الصناعة « المربحة » وخاصة سمسرة السلاح الذين جمعوا من صفقات السلاح ومن الدم المصري ، ما يفرض عليهم المساهمة ، مع التأكيد على العائد المجزي لهذه الصناعة .

وهذا الحديث عن المشاركة العربية — المصرية في صناعة السلاح ينقلنا الى الموضوع

الذى كنا قد قررنا تخصيص هذه الحلقة له ، ونعني به حل أزمة الرأسمالية الوطنية في دول النفط .. فهذه الدول ذات الاقتصاد الحر، رغم كل العيوب والانتقادات ، قد نجحت في خلق طبقة رأسمالية على درجة متقدمة من المعرفة والكفاءة والخبرة الادارية ، والاتصالات العالمية ، حرمت منها البلاد العربية التى رزحت تحت حكم العسكر، وهذه الرأسمالية النفطية لديها رأسمال ضخم ، جانب كبير منه في شكل معدات وخاصة في قطاع البناء ، وان تكن هناك صناعات ، ولعل الكثير لا يعرفون أن المملكة بها صناعة بتروكيماويات متطورة جدا ، وايضا أول مصنع في العالم الثالث لتصنيع معدات تطهير مياه المجارى وتحلية ماء البحر.. وهذه المعدات معطلة إما لانتهاج المشاريع أو لانخفاض الدخل ، وعجز الحكومة عن طرح مشاريع جديدة ، وافلاس هذه الطبقة سيؤدى إلى قلاقل خطيرة ، لأن هذه الطبقة لن تقبل الموت والافلاس ، وهى ترى السماسرة والمحاسبين الذين لم يستثمروا درهما ولا دينارا ولا ريبالا في أرض الوطن يستثمرون في نهب مابقى من الميزانية العامة ، كما أن انهيار هذه الطبقة سيشكل كارثة في تاريخ الأمة العربية تعادل تحطيم الرأسمالية المصرية والسورية والعراقية على يد الانقلابيين . واذا كان لابد من معونة حكومية عاجلة لهذه المؤسسات الوطنية في دول النفط ، فإن الحل البعيد المدى يتكون من شقين ، وأعترف هنا أن خطوط هذا الحل اقترحها بوضوح كامل رأسمالى سعودى مثقف بل وصحفي ، يستطيع أن يفخر بأنه عاش كل أزمات وطنه وأنه لم يستثمر ريبالا واحدا خارج هذا الوطن^٢ وملخص رأيه :

لابد من قيام مشاريع مشتركة يستخدم فيها رأس المال السعودى ، سواء السائل أو المتجمد في شكل معدات تصل قيمتها الى بلايين الدولارات وليس الملايين تستثمر حيث توجد الامكانيات الاستثمارية واليد العاملة والسوق ، اذ يمكن ببساطة البدء في مشروع جبار لتنقية مياه المجارى المصرية لزراعة مليون فدان في الصحراء الغربية تستصلحها شركات مشتركة سعودية - مصرية - كما تستطيع شركات المقاولات السعودية أن تنفذ شبكات الطرق والكبارى والانفاق المطلوبة في مصر بالتعاون أو المشاركة مع الشركات المصرية ، ويستفيد البلدان ، أى ان الدول النفطية يجب أن تفكر بعقلية الامريكان عقب الحرب العالمية الاخيرة ، عندما كان الانكماش يهدد الاقتصاد الامريكى ، فطرحوا مشروع مارشال لتعمير وانعاش وتنمية أوروبا واستفاد الجميع ، على أن نضع في الاعتبار أن هذه الدول ليست أمريكا ومصر والمغرب والسودان ليست الكونغو.. فلا يفكر أحد في عملية نهب أو سيطرة كما كان « العتيقى » أو لورد كرومر الكويتى يقترح في السبعينيات .. بل شركات مشتركة ومشاريع مشتركة وجهود مشتركة للمصلحة المشتركة ، ولابد ، بالطبع ،

(٢) لا أريد ذكر اسمه حتى لا ازيد متاعبه .. وان كان من اخلص السعوديين لوطنه .

من عملية تنظيم هنا وهناك ، إذان وضع المؤسسات النفطية يحتاج الى غربة ، ودمج ، ولو بالقانون لتقليل العدد وخفض التكلفة ، فالمؤسسة التي كانت تعيش بلا ادارة ولا حسابات ايام الارباح التي تقذفها الرياح ، لا تستطيع الاستمرار اليوم ، وبدلا من الافلاس ، يجب اجبارها على الاندماج ، وبالمقابل لابد من تطوير المؤسسات المصرية بحيث تقوم على « الربح » بالطريقة « القديمة - الرجعية » وهي تحقيق الربح خلال عملية الانتاج وتحسن الادارة وخفض التكلفة ..! وليس بمرسوم توزيع « ارباح » في الشركات الخاسرة .. فهذا جيد في النظام الاشتراكي المفلس المزور ، ولكنه ضار وغير مقبول في السوق الحقيقية .

الشق الثاني الذي أشار اليه محدثي ، هو التخلي عن السياسة الضيقة النظر التي قامت على « تحديد » المواطنه لكي « لا يشاركنا احد في ما رزقنا الله من النفط » فقد أدت قوانين تحديد الاقامة ، ومنع التملك سواء في العقار أو الشركات المساهمة ، الى نهب ثروة هذه البلاد وتصديرها للخارج ، وانتفاء الولاء من جانب العاملين فيها ، مما أدى الى نزيف الثروة الوطنية ، ولو كانت هذه البلاد قد اتبعت سياسة التوطين التي اتبعتها امريكا والدول المتقدمة حيث تغرى المهاجر بالتملك والاستثمار والتوطين ، لاستعادت لاقتصادها آلاف الملايين من الدولارات التي دفعتها في شكل اجور وأرباح للأجانب ولكسبت ملايين الخبرات والقدرات من المهاجرين الذين كانوا سيقبلون في حماسة واخلاص على طلب التجنس والاستقرار ، ولظهر سوق داخلي يستوعب النمو الاقتصادي ، ولتضاعفت التنمية والتعمير ، ولحلت مشكلات الأمن وكثافة السكان .

ان دول النفط العربية تستطيع استيعاب عشرين مليون مواطن جديد حتى مع انهيار دخلها باقتراض أنهم سيقبلون العيش في وطن ودولة وبدخل شريف مكتسب ، وليس في فندق وعلى نفقة حرامى مغفل ! ومن مصلحتهم ان تكون هذه الملايين عربية ، واذا ما فتحت الابواب لكل العرب ، فسيحدث التوازن والتنافس في الاخلاص للوطن الجديد كما حدث في عهد الملك عبدالعزيز ، قبل أن يحتل التوازن في عهد الملك فيصل الذي أخطأ رحمة الله عليه ، بتسليم الدولة للشوام ، حتى أصبح مستشار عاهل الحرمين اسمه « فرعون » والغريب أن هذا الفرعون المستشار له عدة أولاد ذكور ليس فيهم من يحمل اسما واضح اسلامية ، بل كلهم بأسماء « اله » المطر الذي تعبدته فئة خاصة في شمال سوريا ..! ..

هذه التغييرات المقترحة تعنى قبول دور متزايد للطبقة الوسطى أو الرأسمالية الوطنية من رجال الاعمال والمثقفين .. فكيف تفكر هذه الطبقة وما إمكانيات تعاونها مع النظم القائمة ...

« فالأسرة السعودية من ناحية الحجم والجذور ، لا يمكن اقتلاعها إلا بقوة خارجية ، ومن ثم فلا تغيير إلا من داخل البلاط ، سواء كما حدث مع الملك سعود أو بأسلوب أكثر حدة .. »

1980

هذه هي الحلقة الاخيرة من ملحمة النفط ، حاولنا فيها أن نقدم بعض الحلول لأزمة النفط العربي قبل أن تتحول الى كارثة ، واذا كنا نريد اليوم ان نتحدث بايجاز شديد عن الطبقة الوسطى في دول النفط ، فاسمحوا لنا أولاً أن نلخص ماتوصلنا اليه عبر عشرة أسابيع^١ لعلها بإذن الله ليست صحيحة في واد فقد قلنا :

١- ان السعودية هي المستهدفة من حرب النفط ، وهي تتعرض لضغوط من داخل وخارج الاوبك لتخفيض انتاجها ، لكي يبقى السعر مرتفعاً ، وتستمر « صقور » الاوبك في انتاج حصة اكبر ، وهذه السياسة تهدد الاقتصاد بل الامن السعودي تهديداً لا مبرر له ولا منطق بيننا مصلحة السعودية ومصلحة النفط العربي على المدى البعيد تقتضى استمرار سيطرة المملكة على سوق النفط حتى لولجأت الى خفض سعره الى ١٥ أو حتى عشرة دولارات للبرميل لفترة محددة حتى يتم « انضباط » المشاغبين والمنتجين خارج الأوبك . ونحن نعتقد أن السعودية ومشیخات الخليج يملكون الطاقة النفطية اللازمة لفرض هذا الوضع .

٢- ولكن هذه الدول بحاجة الى غطاء عربي قومي ، ينسق الانتاج الخليجي ، ثم العربي ، ويواجه الضغوط غير العربية ، وهذا الغطاء في تصورنا يبدأ بتحالف مصرى - سعودى يقوم على الحقائق التاريخية والمصالح المشتركة والانسجام الكامل فى التشكيل العرقي والدينى للسكان ، وهذا التحالف ضرورة عاجلة قبل انتهاء حرب الخليج ، وعندها يصبح اغلاق آبار السعودية الحل الوحيد لتمكين المتقاتلين من تعويض خسائرهم برفع انتاجهم من النفط ! ..

٣- لابد من تغيير الصيغة التى تم بها انفاق دخل سنوات الفيضان المالى ، لانها غير صالحة للسنوات العجاف التى تحتاج لمهارة وحكمة وحرص سيدنا يوسف ، كما تحتاج لتصفية النشاطات الطفيلية ، اذ لا يعقل ولا يتصور أن يعيش رجل الأعمال ابن الوطن في

(١) كما كان المفروض ولكن لم ينشر الا خمس حلقات !

رعب من احتمال الافلاس ، ونقص السيولة ، بسبب الغاء المشاريع الضرورية ، بينما تنشر الصحف خبر احتفال سمسار حديث التجنس بافتتاح قصره الجديد الذى تكلف بناؤه ثلاثمائة مليون ريال (مجلة الحوادث — يناير — عن قصر الحريرى بالرياض) أى أكثر من تكلفة العززية والفخرية ٢ معا على بعد ما بينها ٢ ..

٤ — اقترحنا المشاركة فى مشروعات عملاقة بين الرأسمالية النفطية والقوى الاقتصادية العربية فى مصر والسودان والمغرب وسوريا ... الخ .. فى ظل قوانين ونظم تكفل الامن والحماية ، وعلى اساس المصالح المشتركة لا الشعارات ولا الاغاني .. وهذا الارتباط يجب البدء فيه دون انتظار للكافة الجامعة العربية التى تحولت بدورها الى مجرد منظمة لتبديد عائدات الدول النفطية فهى وحدها التى تدفع ..

اما عن الطبقة الوسطى أو الرأسمالية النفطية ، فهى التى ستحدد مستقبل دول النفط ، بل وستؤثر الى حد كبير على مستقبل التطور العربى ، وقد كنت افضل تعبير « البورجوازية » ولكن العروبة تستلزم الاكتفاء باصطلاح « الطبقة الوسطى » لأنها تشمل الرأسماليين والمثقفين ، وان كان يصعب أن تجد مثقفا فى الخليج ليست له علاقات رأسمالية .

وكل الدراسات عن الطبقة الوسطى فى دول الخليج ، تتأثر بموقف الدارس ، فى رسالة جامعية ام يكية كان المعيار هو الدرجة العلمية ومصدرها ، فن كان من خريج جامعات امريكية فهو على قمة الطبقة الوسطى وقائد تحرر الوطن ! .. وفى كتاب « المملكة » الذى ألفه « لاسي » زعم أنه « اذا انخفض الدخل فإن المواطن السعودى لن يتحمل نفقات أربعة آلاف امير » (ص ٥٠٩) .

وأظرف نقد قالته صحيفة امريكية لكتاب هذا البريطانى هو قولها : ترى لوجاء كاتب عربى لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الانجليزية وألف كتابا عن تاريخ بريطانيا وامريكا فاذا نقوله عنه ؟ !

والجواب : أفاق طبعا ! . ولكنهم لا يعرفون العربية ويؤلفون عن تاريخنا ، بل وتصيح كتبهم — هى المراجع فى بلادنا وفى الجامعات التى تتلقى تبرعاتنا .. وقدما نصح العربى : « تعلموا الخلاقة فى رؤوس الايتام » ! وما أكثر الحلاقين فى بلاد الايتام العرب ! والكتاب الغربيون لغرورهم واحتقارهم لثقافات وتاريخ الآخرين يأتون بأنماط

(٢) اويتبرع الامير خالد بن سلطان بنصف مليون لعلاج طفل امريكى شاهد مشكلته على التلفزيون ! أو يحتفل سمسار سلاح بعيد ميلاده احتفالا يفوق مهرجانات زواج ابنة خارويه ! ..

جاهزة ، أو أحدى صينية يدخلون فيها واقعنا فإذا استحال ذلك فالخطأ في الواقع وليس في مقاييس أحدىهم ! من ذلك انهم يضعون كل الملكيات أو الأسر الحاكمة في خانة واحدة ويطبقون عليها ماجرى في مصر وإيران .. وقد قلت لأحدكم مرة ، لن أناقش الفروق الوطنية والتاريخية ، فهذه عسيرة على فهمك . ولكن أشير الى ملحوظة قد تعتبرها شكلية ، وهى أن « الاطاحة » بالأسرة المالكة في مصر اقتصر على ترحيل فرد واحد ، فقد كان فاروق وحيدا بلا أخ ولا عم وله ابن عم وحيد اكبر من والده ! وابن واحد طفل عمره ستة شهور .. وكذلك الشاه ، بينما الحديث عن « الأسرة الحاكمة » في السعودية يعنى عشرة بالمائة من السكان .. ! انها اكبر من طبقة ومتداخله في تركيبة المجتمع ، فلا توجد اسرة مرموقة من الطبقة الوسطى إلا ولها مصاهرة مع البيت المال ، فهى من ناحية الحجم والجدور لا يمكن اقتلاعها إلا بقوة خارجية ، ومن ثم فلابال للحديث عن تغيير إلا داخل البلاط سواء كما حدث مع الملك سعود أو بأسلوب أكثر حدة ..

وهذا التجذر في المجتمع ، يجعل من الصعب رسم حدود بين الاسرة الحاكمة والطبقة الوسطى ، فهما مندمجتان بالمصاهرات وفي الشركات ، ونظراً لضخامة حجم الاسرة ، والتطورات الاقتصادية المفاجئة التى أدت الى اختفاء الحدود الاقتصادية ، فقد تجاوز الكثير من ابناء الطبقة الوسطى ثروة الشيوخ والأمرء ، وأول صوت معارض جاء من الاسرة ، فى حركة الأمرء الاحرار ، الذين حركتهم عوامل عديدة ، منها احساسهم بأن النظام يندفع في سياسة معادية لمصر ليست في صالح العرب ، ولا فى اطار استراتيجية المؤسس المغفور له الملك عبد العزيز ، فضحوا بالامارة والاموال والأهل ولجأوا الى مصر ليكتشفوا ان نفس السياسة تجرى في القاهرة وباصرار أشد وتخريب افظع ، فلم يترددوا في التضحية مرة أخرى بمغادرة القاهرة والثورة عليها .. وبعض الأمرء اليوم أكثر رغبة في التغيير من محررى الصحف السرية التى تصدر في الخارج ، وقد يدهش الزائر عندما يهديه امير تسجيلاً لقصيدة « تونس الخضراء » التى يهاجم فيها نزار قباني عرب النفط والمصريين ويخرس لسانه عن الآخرين ، لأن « الجبن سيد الاخلاق » في زمن اشباه الرجال .. يقول عن الاعراب :

اتكلم الفصحى أمام عشيرتى وأعيد لكن ما هناك جواب
لولا العباءات التى التفوا بها ما كنت أحسب أنهم أعراب
فن الخليج الى المحيط قبائل بطرت ، فلا فكر ولا آداب
فى عصر زيت الكاز يطلب شاعر ثوبا وترقل فى الحرير قحاب
والعالم العربي يخزن نطفه فى خصيتيه وربك الوهاب .

والناس قبل النفط ومن بعده مستنزفون قسادة ودواب ٣... !
والحديث عن الاسر الحاكمة ذوشجون ، ولكن يمكن القول أنه اذا كان هناك خطر فهو
من داخلها ...

ولاشك أن تطورا كبيرا واساسيا قد حدث خلال الثلاثين عاما الماضية ، من عهد كان
شيوخ الكويت يشنقون فيه طليعة الطبقة الوسطى ، أو يطقونهم (يجلدونهم) في الطريق العام
اذا ماتحتطت سياراتهم سيارة طويل العمر (طويل العمر هو اللقب أو النداء الذي يخاطب به
العامّة الامراء والشيوخ في الخليج . واذا أمعنت النظر في ظروف الامراء والمشايخ ، تجد أن
احدهم لا يتمنى ولا يحتاج الا لطول العمر للاستمتاع بما أتاه الله والنظام ، ومن هنا كان هذا
فعلا هو أحب الاسماء اليهم يا طويل العمر !) .. وصحيح ان اغنى رجل في العالم ، هو
عربي وليس اميرا ولا شيخا ، وان الزوار بل حتى الاهالي ينظرون اليه في ذهول وهو يهرول
بجلبابه ويصيح : « لبيك » كلما ناداه أى طويل عمر : يامهدى ! ولكن هذا من التعود
ولأن سلطة القرار مازالت في يد طويل العمر ، وصحيح ان مجلس الوزراء مازال يشكل في
خلوة الشيوخ ، ولكن تطورا هائلا قد حدث بين معايير الاختيار اليوم ، ووسائل ضمان
الولاء ، وبين الاسلوب الخجزي المرعب الذي كان يتبعه « جابر العلي » في « تكريس »
ولاء القيادات المثقفة البائسة ! ٤ ..
انه حقا انجاز هائل ! ..

في الخمسينيات ومطلع الستينيات كانت دول الخليج في ازمة كيانية وسياسية
واقتصادية واجتماعية واستطاع التبيح السياسي للبعث وصوت العرب كسب فئه من
المثقفين .. وهؤلاء كانوا ضد النظام من أساسه ، وكان تطلعهم الى الانقلابات العربية
والاحزاب الانقلابية التي ظنوها تقدم الحل الأمثل ، أو حتى برنامجا أو فلسفة افضل مما
يتتيحه النظام السعودي . وقد اصاب هؤلاء ما اصاب الطبقة الوسطى في العالم العربي ، من
خيبة امل ، بانهار فلسفة الانقلابيين فهزموا داخليا بعجزهم عن تحريك الطبقات الشعبية ،
اذ كانوا غرباء الفكر واللسان ، ثم هزموا عقائديا بافتضاح أصنامهم أو زعمائهم ، فتحول
معظمهم الى ادوات ، هربوا من سيف المعزالي ذهبه ، وتفرغوا لجمع الثروات بأي اسلوب
ومن خلال المبالغة في التذلل للسلطة ، بعكس المثقفين الذين ظهروا في السبعينيات ،

(٣) اعطانى الشريط أمير من عظم الرقبة — كما يقولون — في النظام السعودي ابوه ملك وجده ملك .. وكان في غاية
السعادة من سب تزار في اهل النفط !!

(٤) هناك حكايات يشيب لها شعرا الرأس ويندى لها الجبين عما كان يفعله جابر العلي بالوزراء الشباب أو المرشحين
للوزارة والمناصب الكبرى وقد سمعتها من كويتيين بارزين !

سواء ينصرفون عن اخلاص وارتباط وقناعة باستمرارية الشرعية في الاسر الحاكمة .
دعهم رفضا يعتقد أن البيت الحاكم جذوره سليمة ، وضرورة تاريخية كما انه حقيقة
حية وانه ضمان الوحدة الوطنية والاستقرار والعاصم من المحن التي جرت على بلدان أخرى
... - في رأيهم - لا يحتاج الأمر الى أكثر من هزة تسقط الافاعي والحشرات التي علق
- حية . وربما بعض تشذيب للأغصان الجافة أو الفاسدة ، وهم من واقع اخلاصهم وصفاء
- ين لا يشعرون بأنهم بحاجة الى المناقشة أو التذلل .. بل يدهشون المنافقين بمواقفهم
حرية .

يخرب هنا مثالا لكل من الجيلين .. ليس بقصد الاساءة الى أحد ولا الاعجاب
بأحد ولكن لتوضح الصورة ، وان كنت لا ابالي بتفسير المفسرين ..

جبر حجيلان كان بعثيا وقيل شيوعيا ثم ناصريا ، وتم استثناسه وكلفه النظام بتولى
لاعلاء ضد عبدالناصر ! .. وحدث في مجلس خالد بن عبدالعزيز قبل أن يصبح ملكا
سنوات ، ان دار حوار بين حجيلان (الذي بالمناسبة لا يمت بصلة الى فيصل حجيلان السفير
نسبى بوشنطن والذي كان وزوجته صورة مشرفة للعرب .. وان لم يكتب لها الدوام وتلك
قصة أخرى) .. دار حوار بين جميل والاميرين متعب وبدر ، أحس الامير ان تجاوز
حسه ، فانه لا عليه ضربا وقيل بال .. حتى خلصه خالد وصرفه من المجلس .. وهنا قال
لامير خالد : « هذا الشخص ليس امامه الآن الا الاستقالة ، فإن لم يستقل فهو لا يخرج عن
احد احتمالين : أما انه خسيس بلا كرامة أو أنه صاحب مخطط خطير » .

والذي حدث ان المضروب بقي واصبح وزيرا ثم سفيرا ، وبعد مرور عشرين سنة ثبتت
براءته من المخططات ! ..

المثال الآخر هو « غازي القصيبي » وهو من أعرق الاسر السعودية ، أبوه كان وكيل
عبدالعزيز في البحرين ولعب دورا بارزا في نشوء المملكة ، وكانت له مكانة خاصة عند
مؤسسيها (انظر حادثة توقيع المعاهدة مع بريطانيا باستقلال السعودية وحرص عبدالعزيز على
ابلاغ هذا النجاح للقصيبي وحده) والقصيبي المعاصر هو من المجموعة السعودية الأولى التي
حصلت على الدكتوراه ، وهو من القلائل الذين تولوا أكثر من وزارة ولم تحط باسمهم شبهة
« عمولة » واحدة .. وهو ايضا متعدد المواهب ومن الشعراء المبرزين على الصعيد العربي ،
شديد الاعتداد بنفسه الى حد تحدى شوقي امير الشعراء ! وهو شخصية فريده بهوياته وملاحمه
« كأنه قدم من جبل » !

ولا أحد يعرف كيف انتقل القصيبي بسرعة النجم من دائرة اقرب المقربين للملك الى

دائرة المغضوب عليهم . ولكن الرجل لم ينتظر حتى يعفى من منصبه ولا قبل ان يتعفن في هذا المنصب وفقا لسياسة الالهال التي يتبعها النظام مع غير المرضي عنهم أو كما عبر المرحوم « محمد على رضا » : « مصارين النظام طويلة » ! ولا حتى قبل أن يستقيل في صمت بل اقدم على حدث هو الأول من نوعه في تاريخ السعودية ، وإن كان يعبر عن الكرامة والاخلاص معا ، وهو ما تتميز به الطبقة الوسطى الجديدة ، فقد نشر القصيبي نقده واحتجاجه في شكل قصيدة بعنوان : « رسالة المتنبي الأخيرة الى سيف الدولة » ومعروف خلاف المتنبي مع حاشية سيف الدولة الامر الذي اضطره للهجرة .. وإذا كانت القصيدة أو الخطاب المفتوح الموجه للملك هي حدث في حد ذاته ، وهي — كما قلت — مؤشر لنوعية ومسلكية الطبقة السعودية المثقفة ، فكذلك المقدمة التي وضعها رئيس تحرير الصحيفة « خالد المالك » الذي تبني شكوى القصيبي وجعلها شكوى عامة ، وهي افتقاد الناس للعلاقة الخاصة التي كانت تربط دائما بين رئيس الدولة والمواطن ، والتي كان عبدالعزيز شديد الحرص عليها ، عندما يحذر دائما من مصير دولة عمه « عبدالله الفيصل » لأنها على حد قوله سيطر عليها « الخدم والنساء »^٥.

قالت المقدمة : « إننا مؤمنون بأن الدكتور غازي (القصيبي) اراد استرجاع شيء فقده هو أو فقده الناس ، وهو الصفاء النفسي وثبات القاعدة مع من يحبه أو يحبونه باخلاص ويعمل من أجل ترسيخ هذا الحب والذي نرجوه أن تحقق القصيدة للدكتور الوزير ما يريد » ..

والقصيدة كاملة منشورة الى جانب هذا الحديث .. بقى ان نقول ان موقف السلطة كان بدوره مؤشرا ودليلا على التطور الذي حدث ، فلم ينكل بأحد ولا اختفى احد ، بل اكتفى بقبول استقالة الوزير ليعين سفيرا في البحرين ، وهو منصب له أهميته وحساسيته في هذه الظروف بالذات ، وهو تأكيد لاستمرار الثقة . اما رئيس التحرير ، فكانت عقوبته قاسية — نوعا ما — اذ نقل الى وظيفة غير تحريرية ، وهو أمر مؤسف حقا ، ونرجو ألا يستمر ، حتى لا يقال إن المملكة — معاذ الله — تعامل الصحفيين معاملة الدول الثورية .. !

المهم ان الحادثة اثبتت انه لا تناقض جذري ولا تربص ، بل تطلع لمشاركة جادة في السلطة ، وتقبل لمشاعر هذه الطبقة . وإن حالت اعتبارات ، دون التنفيذ الكامل^٦ ..

(٥) انظر الى تحكم منصور الخريجي في ديوان الملك فهد الى حد الغاء رغبات الملك ..

(٦) يقول المشقوق السعوديون انه من غير المعقول أن تستمر ميزانية الدفاع السعودية اكبر من مجموع ميزانية اسرائيل .. وأنه اصبح من الافضل تسليم وزارة الدفاع والحرس لامراء من الصف الثالث او وزراء عسكريين فنيين ، واهم من ذلك الى مسئولين « يمكن محاسبتهم » ولا يسهل استغلال اسمهم ومكانتهم ..

واذا كان صحيحا ما برره الملك فيصل رفضه لمجلس الشورى ، عندما قال للمثقف الذى كان يطالب به : « هل تظن لواجريت انتخابات ستفوز انت وامثالك من المتعلمين ! ؟ أبدا سيفوز ابن لادن والشربتلى والراجحى » ..

حتى اذا كان هذا المنطق مقبولا فى زمن فيصل ، فالحق انه لو انتخب ابن لادن والشربتلى وقتها ، لمنعوا ثروة البلاد من أن ينهبها دافيد زمبر واكرم عجه ، وفارس والحريرى والبرابيللا ووليم قازان .. الخ ..

اما الآن فان فرصة تمثيل المثقفين اكبر وفرصتهم لخدمة وطنهم وعروبتهم واسلامهم اكبر ، فلا أحد يستطيع ان يقول للحاكم ما قاله كاتب رقيق ، للملك فيصل : « تبدل الوزراء كأنهم ملك يمينك » ! قالها على سبيل المدح ! ..

كل ما تحتاجه هذه الطبقة لتطلق طاقاتها وتؤكد ولاءها هو مجلس الشورى العتيد^٧ ..
فهل من مجيب ؟ ! ..^٨

(٧) هذا المجلس هو وحده الذى يستطيع أن يفرض سياسة التقشف و يقتنع بها الناس ، ويمكن أن يترأسه مساعد بن عبد الرحمن أو الأمير سلمان أو الأمير طلال ، أو غازى القصيبي ..
(٨) تأمل ايضا كيف قبل علي الشاعر أن يوضع اسمه فى قائمة الوفد السعودى بعد الامير بندر بن سلطان مما كان مثار دهشة وتندر الانجليز الذين يعرفون ان على الشاعر ليس فقط وزيرا بل اقدم في منصب السفير من الامير بندر . بينما رفض السفير السعودى فى بريطانيا ان يذهب للمملكة العام الماضى مرافقا لوزير الدفاع البريطانى لما عرف ان الامير بندر السفير فى واشنطن قد استدعى ، كما رفض فى سبتمبر الماضى ان يظهر فى صورة توقيع الاتفاقية لان بندر كان يقف خلف ابيه ، اما سعود الفيصل فقد اكتفى بمقاطعة الحفل بعد تجاهله واحلال بندر محله .

« .. وبدأ النفط يأخذ إتجاها آخر ، هو المرور جنوبا عبر مصر ، التي تؤكد أنها الأكثر استقرارا ، والأبعد عن يد اسرائيل رغم كل ما قيل ويقال عن كامب ديفيد ! »

عقب حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . وهزيمة العرب التي جعلت مؤرخاً كبيراً يقول إنها الهزيمة الحضارية الثالثة للعرب التي ستترك بصماتها على تاريخهم ، الاولى كانت هزيمتهم امام « شارل مارتل » في جنوب فرنسا ، وهى الهزيمة التي منعت انتشار الاسلام فى اوروبا والثانية على يد هولاء كوسقوط بغداد ، مما أدى الى انحسار عملية التعريب فى آسيا ، وانقسام العالم الاسلامى الى عرب ومسلمين غير عرب . ثم كانت هزيمة حزبى ايران التى بزعمه أنهت الحضارة العربية ، أو على الأقل فرضت عصر الامبراطورية الاسرائيلية .. أو هكذا كان ظن الكثير!

ومن وسط الظلام جاء صوت يرفض هذا المنطق ، صوت زعيم من ابرز زعماء العالم ، وبطل من أبطال التحرير ، رفض هذا المنطق وأكد ثقته فى قدرة العرب على تغيير واقع النكسة ، لأنهم هم الحقيقة الدائمة ، أما اسرائيل فهى الشاذ والمؤقت والعارض .

هذا الزعيم هو شارل ديغول ، أو « عنقاء » الأمة الفرنسية الذى ظهر من رماد اكبر وأبشع هزيمة نزلت بفرنسا على يد عدوها القومى — سابقا المانيا ، عندما استسلم الجميع وركع الزعماء ، وارتفع صوت حكماء التعقل والواقعية ، يطلبون « انقاذ ما يمكن انقاذه » بالدخول تحت جناح ألمانيا العظمى .. عندها ظهر ديغول كما فى اساطير العنقاء ، أو كما فى قصة « جان دارك » .. وقال : لا .. للهزيمة والاستسلام ، وخاض حرب المقاومة ليس ضد القوة العسكرية الألمانية وحدها ، بل أهم من ذلك فى وجه القوى الفرنسية اليائسة والمنهارة .. وانتصر ديغول . ورجعت فرنسا دولة عظمى لتتحالف مع المانيا !

المهم « ديغول » كتب خلال الايام العصيبة للهزيمة العربية ، يشد عزمة مسئول عربي كبير ، فقال له فى رسالته : « دع الجغرافيا تكتب وتصحح التاريخ » .

وهى جملة خالدة ، فالعرب هم جغرافية المنطقة ، واسرائيل هى الحادثة أو الخطأ

التاريخي ، ولا بد للجغرافيا أن تصحح التاريخ ..

وجملة ديفول ، تلخص العلم الذي لا يدرس في مدارسنا — للأسف — وهو علم « الجيوبولتيك » أى تأثير الجغرافيا على السياسة ، وكيف ان سياسات الدول واستراتيجيتها الدائمة لا تتغير بتغير النظم أو الأشخاص ، لأن الجغرافية لا تتغير الا بانقلاب عالمي ، أو بتغير جذرى في خريطة الدول يغير جغرافيتها ، ولعله قد وضع الآن ، لماذا لا يدرس هذا العلم في مدارسنا ، فن ناحية لم يكن من صالح القوى المسيطرة على بلادنا ، ان تعلمنا مصالحنا الدائمة ، ومن ناحية أخرى ، عندما دخلنا في ظلمات عهد الاستقلال ، لم يكن من مصلحة الحكام ، ومستشارهم قصار النظر نسبة السياسة الى عوامل دائمة ، ووصف هذه السياسة بالاستمرارية ، لان فلسفتهم تزعم أن التاريخ يبدأ بهم ، وقبلهم لم يكن ساسة ولا سياسيون .. !!

عبد الناصر — مثلاً — لم يدع أبداً أنه هو الذى خلق اهتمام المصريين بالعرب ، ولا كان يملك هذا الادعاء ، لأن شقيقه اسمه « عز العرب » أى أن والده رحمة الله على الجميع — كان مهتماً بالعرب وعز وذل العرب ، راجياً أن يكون عزهم على يد أحد ابنائه ، فإذا شاء القدر أن لا يكون هذا الابن الذى سماه ، فهذا لا يعني أبداً ان الجيل الذى سبق وأنجب عبد الناصر لم يكن يعرف العرب كما يدعي المتاجرون بعبد الناصر ، لأن اهتمام مصر بالعرب نابع من الجغرافيا ، من موقعها في قلب العالم العربي ..

ابراهيم باشا قال ان حدوده تمتد الى حيث آخر متكلم بالعربية ، وفاروق انشأ الجامعة العربية .. فالسياسة الدائمة للدولة ، لأنها تنبثق من عوامل دائمة ، خطوطها الاساسية لا تتغير ، بشرط توفر قيادة وطنية تعبر بتكوينها عن المصالح الحقيقية للدول ، ولا أقول بشرط ان تكون واعية ، لأن الوعي بالمصلحة القومية مثل الفرائز سرعان ما يظهر اذا ما توفر الاخلاص ، أو طهارة الدم ، وصحة الوراثة .. وها هم الشيوعيون في روسيا يسرون حرقيا على استراتيجية القياصرة ، لأنهم من افراز صادق للوطنية الروسية ، التى تفرض عليها جغرافية روسيا ، التطلع للمياه الدافئة ، والتوسع في آسيا الاسلامية ، والتخوف من قيام كتلة عربية — اسلامية ، تشكل اغراء أو دعماً للحركة الوطنية في الجمهوريات الاسلامية بالاتحاد السوفيتى والخوف من نمو قوة كبرى في الشرق الاقصى قرب سيبيريا أو مخرجها المائى فلاديفوستك .. الخ ..

كذلك يمكن فهم استمرارية سياسة الشيوعيين أو جماعة « هيلامريم » في اثيوبيا على نفس سياسة الامبراطور . وهذا بالطبع قانون عام يصلح لتفسير العلاقات العربية —

العربية ، وإعادة تأمل تاريخ العرب . فقد برزت مصر — على سبيل المثال — كقاعدة للعمل العربي والاسلامي بتطور خريطة هذا العالم ، عندما احتل الصليبيون الساحل الشامي — أصبحت مصر هي اقرب نقطة جغرافيا لتشكيل دولة المواجهة ، وهو ما قام به الايوبيون ، يضاف الى ذلك بالطبع التكوين الجغرافي الخاص لمصر الذي حقق وحدة شعبها . فلما سقطت بغداد ، وانعزل العالم الاسلامي غير العربي ، اصبح الوطن العربي وحدة جغرافية منفصلة ، وكان من الطبيعي أن تنتقل القيادة الى القلب الجغرافي لهذا الوطن .. اى مصر وهو ما تحقق واستمتع به المماليك ، الى ان وقع اكبر تغيير في جغرافية العالم باكتشاف امكانية الطواف حول افرقيا ، ثم اكتشاف الامر يكتين عندها فقد العالم العربي موقعه المتوسط بين الشرق والغرب ، وفقدت مصر اهميتها الجغرافية فرحل عنها التاريخ الى اسطنبول اقرب موقع اسلامي للجبهة أو القارة الناهضة ..

ولانريد ان نستطرد في دراسة تاريخية ، وانما الذى استدعى هذا الحديث هو تأملنا ظاهرة جديدة في عالم النفط ، وهي الاتجاه الى زيادة الاعتماد على مصر في تصديره منذ حرب ١٩٧٣ ..

فقبل ١٩٤٨ كان اتجاه النفط هو شمالا عبر « الشام القديمة » ليصل الى البحر الابيض من حيفا في فلسطين أو عبر سوريا ولبنان ، وكانت الاستراتيجية ، هي تجنب قناة السويس ومصر ، من ناحية لأنها كانت تعتبر في دائرة النفوذ البريطاني ، ولذلك كانت الشركات الامريكية تريد تجنبها ، أما من ناحية الشركات غير الامريكية ، فكانت تعتبرها ممرا غير مأمون لأنه يقع في دولة تغلي بالحركة الوطنية ، كثيرة المطالب ، محتملة المتاعب .. وبعد حرب ١٩٥٦ تعزز هذا الاتجاه ، وهو تجنب قناة السويس ، فكان انتاج النفط غرب مصر في ليبيا والجزائر ونيجيريا وبحر الشمال وكان ظهور الناقلات العملاقة التى تطوف حول رأس الرجاء لنقل نفط الخليج إلى أوروبا الغربية وأمريكا وتوثقت العلاقات بين دول الخليج والشاه ، الذى نصب نفسه حاميا لمضيق هرمز الذى كان يشكل المخرج الوحيد والابدى لنفط الخليج ..

ولكن بعد ١٩٦٧ حدث تدهور شديد في أمن واستقرار المنطقة ، شرق البحر الابيض وأصبحت مهددة بالكامل بالتدخل الاسرائيلى ، وفقدت خطوط النفط المارة بها أهميتها ، بل قدرتها على الاستمرار ، حتى الغيت سواء من المنبع أو من المصب .. كما حدث في خط التابلاين الذى كان ينقل النفط السعودى والخط الآخر الذى كان ينقل النفط العراقى عبر سوريا . وقد ثبت بعد نظر الرئيس العراقى عندما نفذ مبكرا جدا خط الانابيب الذى ينقل

النفط العراقي شمالا عبر تركيا ، في وقت كانت وجهة نظر الكثيرين — ونحن منهم — أنه مشروع غير اقتصادي وغير عملي ، بل وغير قومي ! ليثبت بعد ذلك أن هذا الخط لعب خلال الحرب ، والازمة مع سوريا ، دورا شريانا الحياة شبه الوحيد للنفط العراقي ، بل ونجح أيضا في خلق قاعدة ودافع للتضامن التركي مع العراق في هذه الحرب . وعلى ضوء هذا النجاح الذي يمكن العراق حاليا من تصدير مليون برميل يوميا عبر هذا الخط اعلن الرئيس العراقي في يوليو الماضي نية العراق في مد خط ثالث عبر تركيا .

وبعد ١٩٧٣ ثم الحرب العراقية ، بدأ النفط يتخذ اتجاهها آخر ، وهو المرور جنوبا عبر مصر التي تؤكد أنها الأكثر استقرارا ، والأبعد عن يد اسرائيل ، رغم كل ما قيل ويقال عن كامب ديفيد !

وكان الملك فيصل ، عبقريا ، عندما شجع مصر على بناء خط « سوميد » الذي ينقل النفط من السويس على البحر الأحمر الى الاسكندرية على البحر الأبيض ، وتمتلك السعودية ١٥ بالمائة من اسهم هذا الخط . وفي عام ١٩٨٠ كان هذا الخط ينقل ١,٥ مليون برميل يوميا من النفط السعودي ، ويمكن رفع طاقة هذا الخط الى ٢,٤ مليون ب/ي (كما يقول كواندت العضو السابق في مجلس الامن القومي الامريكي) وقد مدت السعودية خطي انابيب عبر الجزيرة لنقل النفط السعودي من آباره على الخليج الى البحر الأحمر — بعيدا عن مضيق هرمز المشتعل — حيث يصل النفط الى « ينبع » ومن هناك تحمله الناقلات اما الى خط سوميد عبر الاراضي المصرية ، أو عبر قناة السويس ، في المياه المصرية . وينقل الخطان حاليا ١,٨ مليون ب/ي ويمكن رفع طاقتها الى ٢,٣ مليون ب/ي بل حتى الى اربعة ملايين ، وهو ما يكفل الحد الأدنى الذي تحتاج المملكة لتصديره يوميا ، مما ينفي أية اثار لتهديدات الحرب في الخليج .

اما العراق فقد اشرف على الانتهاء من مشروع عملاق سيمكته من مضاعفة صادراته النفطية ثلاث مرات (كما تقول الوشنطن بوست ٨٤/٧/٣١) وذلك بمد انابيب تنقل النفط العراقي الى البحر الأحمر فلا يحتاج لعبور مضيق هرمز ، ولا الخط القديم عبر سوريا ، والذي كان ينقل ١,٢ مليون ب/ي قبل أن تغلقه سوريا . والمشروع العراقي المتجه جنوبا يقوم على خطين يمتدان عبر الاردن والسعودية الى « ينبع » على البحر الأحمر بطاقة قدرها نصف مليون ب/ي في المرحلة الأولى التي تنتهي في مطلع العام القادم بوصول الخط العراقي بالخط السعودي ، والمرحلة التالية هي خط عراقي كامل الى « ينبع » السعودية من العقبة ، مما يرفع امكانية التصدير العراقي عبر البحر الأحمر ، وبالتالي عبر الاراضي والمياه المصرية الى ٢

مليون ب/ى وتقول «الوشنطن بوسبت» ان هناك خطا ثالثا طوله ٥٦٠ ميلا سيمتد من كركوك الى العقبة، سيبني تحت اشراف شركة «بكتل» التى كان يديرها شولتز وير خارجية امريكا.

ولا يخفى ان دول الخليج الاخرى تعتمد وسيزيد اعتمادها على خط سوميد وقناة السويس، خاصة اذا ما استطاعت أن ترتبط بشبكة الانابيب السعودية — العراقية — المصرية.

والمتأمل للتاريخ الحديث للعرب، من حقه أن يرفع حاجبه دهشة، اذ يمكن القول ان جانبا مهما من الاحداث التى شكلت هذا التاريخ، كانت تدور حول هدف واحد وهو ابعاد مصر عن نفط الخليج .. وانتهت أربع حروب واكثر من عشرين انقلابا الى صب نفط الخليج في مصر! ..

إنها الجغرافيا مازالت تكتب التاريخ^١ ...

(١) نشرت بالحوادث ٥ ابريل ١٩٨٥



اصنعوا سلاحكم يا عرب !..

« تصنيع السلاح ، ربما يكون مهمة ثقيلة
العبء ، فوق طاقة جيل منهوك
عديم الطموح ، ولكن لا سبيل لتفاديها
فهى الشرط الأول لتحقيق
استقلالية القرار العربى وحماية
الأرض والعرض »



العرب يحبون السلاح .

وفي الحديث : « تحدثوا على الطعام ولوبشمن أسلحتكم » .. ولكن عرب اليوم لا يتحدثون الا عن أسلحتهم وبالذات ثمن أسلحتهم على الطعام وعلى الشراب وفيها بينها .. ! وربما كان هذا من ميراث الصحراء منبع العرب ، حيث كان امتلاك السلاح ، يحدد من يعيش ومن يموت ، ومن يفوز بالنصيب الأكبر . وما من حضارة أخرى فيها أدبيات في السلاح مثل الأدب العربي ، بل إن الحصان الذي كان يقوم بدور المدرعة والمركبة بل والطائرة في حروب الماضي . احتل مكانة بارزة في حياة العرب الاقدمين وشعرهم ، حتى توقع عنترة ان يحاوره الحصان ، وأشهر بيت تعلمناه في المدرسة ، ويستخدمونه للتشجيع على مفردات اللغة العربية هو قول الشاعر : مكر مكر مقبل مدبر معا .. كجلمود صخر حطه السيل من عل ! .. وهي صفات اكثر انطباقا على طائرة الميراج أو ف ١٥ .. ؟ !

وربما تعززت العلاقة بين العربي والسلاح ، من ذكريات عصر الجهاد حيث خرج العربي للعالم ، مسلحا بعقيدة وسيف ، فغير خريطة الدنيا ، ومفاهيم الانسانية ، وترك بصماته واسماؤه ومصطلحاته على التاريخ وحياة الناس ألفا وخمسمائة سنة وإلى ما شاء الله سيظل الناس يتسمون بأسماء بدو كانوا يعيشون على هامش الوجود .

ثم انفصلت علاقة الحب بين العربي والسلاح لعدة قرون شهدت تدهوره الحضاري ، وتقهقره العسكري ، الى أن تجدد العشق خلال المواجهة الخاسرة مع أوروبا ، حيث كان تفوق الأوروبيين في السلاح هو السبب المباشر أو الظاهر ، والتفسير الأسهل لسيطرة الجنس الأبيض على العالم . وكلنا نذكر كيف قال الضابط الانكليزي في فيلم « لورنس العرب » : « لاتعطوا العرب المدافع .. أعطوهم بنادق فقط ، بالبنادق سيعملون وفق استراتيجيتنا ، اما لو امتلكوا المدافع فسيعملون لحسابهم » .

وهذا الوعي بأهمية السلاح ، جعل الغرب الاستعماري يحرص على تجريد العرب من السلاح ، سواء بمنعهم من صناعته ، أو باحتكارتور يده لهم وكان منع قيام صناعة السلاح ، يتم بقوة جيش الاحتلال ، اما في عهد الاستقلال ، فهو يتم بوسائل شتى ، من العجز التكنولوجي ، والتوزيع غير المناسب للثروة والامكانيات العربية ، واخيرا وأولا بالغزو الفكري ، باقناع العربي ان انتاج السلاح الثقيل مهمة مستحيلة ، وان اقصى نجاح يحققه زعيم عربي ، هو قدرته على شراء سلاح من دولة كبرى . وهذا بالطبع يدخل في دائرة ابقاء العرب عاجزين ، خاضعين لتوجيهات ومصالح الدول الكبرى ، وأيضا ضمان تفوق اسرائيل وهيمنتها على العرب الاكثري عددا ، وقد أضيف سبب آخر لحرص الدول الكبرى على منع قيام صناعة سلاح عربية ، وهو الحرص على المال العربي ، اذ أصبحت تجارة السلاح هي أهم صادرات الدول الصناعية للعرب ، أو أفضل وأرخص الطرق لتسديد ثمن النفط ، وأيضا بأقل عائد حقيقي للمال العربي ، لأن السلاح ليس سلعة انتاجية ولا خدمات ، ولا يحقق تقدما ، والكمية العظمى منه اما تحطمت في حروب خاسرة أو لم تتح لها الفرصة قط للتجربة الساخنة .. واذا كان العرب أو الدول المتخلفة عموما تشتري السلاح لحماية استقلالها ، فقد ثبت أن السلاح يأتي من الدول الكبرى مع قيود واشترطات تحد من هذه السيادة ، ثم في الغالب ينتهي بقيام شكل من اشكال الاستعمار ، اما في صورة خبراء أو في صورة معاهدة أو قواعد وتسهيلات للدولة الكبرى ، التي تتحكم في قطع الغيار والتجديد أو « التعويض » كما كان يردد الرئيس الراحل انور السادات : « أنا الروس ما عوضونيش في حرب أكتوبر » .

ولانريد استعراض المبالغ التي انفقت على شراء السلاح من الشرق والغرب ، فليس هدفنا التشهير ولا الخصومة ، وقد قلنا ، هنا ، منذ اسابيع ان مرحلة الحك على الجرح العربي قد انتهت ، ويجب أن يبدأ الكتاب الآن ، دعوة ايجابية للبناء ، لأن ليل الهزيمة يوشك أن ينصرم ، وفجر البعث يلوح من جنوب لبنان .. وكل عربي يعرف كم انفق على السلاح ، وخلال الثلاثين عاما الماضية انحصر العمل العربي أو الانجاز العربي والاهتمام العربي ، وعلاقتنا الدولية .. في السلاح .. ابتداء من صفقة السلاح الشهيرة المصرية - الروسية في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٤ وانتهاء بقرار اميركا اغلاق سوق السلاح كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥ ، حتى تنتهي زيارات حكام الشرق الأوسط ، واخيرا قرار الكونغرس بمنع السلاح عن الأردن الى ان تتحسن علاقاته مع اسرائيل !

في عام ١٩٥٥ دشنت صفقة السلاح الأولى مع الروس تحت عنوان أو شعار : « تحطيم

احتكار السلاح» فلما قلنا في حديث لنا ، ان تحطيم احتكار السلاح يكون بانتاجه
وبتصنيعه ، وليس بتغيير جهة الاستيراد ، عندها تصدى لنا صبي مجلة « حوار» التي أعلن
رسميا انها كانت تصدر بتمويل مباشر من المخابرات الاميركية ، تصدى لنا واصفا دعوتك
لتصنيع السلاح في الوطن العربي بأنها « نكتة ثقيلة الدم » !

مؤكد أنها ثقيلة على قلب المخابرات الأميركية وشركات السلاح الاميركية وانصار
اسرائيل في الدوائر الأميركية ، وربما تكون ثقيلة العبء في التنفيذ ، فوق طاقة جيل منهوك
عديم الطموح ، ولكن لا سبيل لتفاديها ، فهي الحل الوحيد ، والشرط الأول لتحقيق استقلال
القرار العربي وحماية الأرض والعرض .. اذا ما كان ذلك واردا على قائمة اهتمامات الانسان
العربي ..

والذين يشككون في قدرة الانسان العربي على انتاج السلاح ، لا يتساءلون ، كيف
استطاعت الصين انتاج السلاح الثقيل بل والأسلحة النووية ، ولا كيف بدأ مغامر من الهواة
صناعة السلاح في البرازيل منذ عشرين سنة أو أقل وأول صفقة عقدها بدأت كأفلام
سينما ، عندما طاف « جوسيه لوز و يتكرر ببيرو» على سفينة شحن تجارية مستأجرة من
قبرصي ، قبل أن يحمل نموذج الدبابة التي كان « جوسيه لوز» يريد تسويقها ، وظل
القبرصي طوال الرحلة يقنع البرازيلي بالقاء الدبابة في البحر وقبض مبلغ التأمين عليها ! ..
والبرازيلي يرفض منطق البلطجية المتخلفين ، حتى وصل الى طرابلس في ليبيا ، وعقد أول
صفقة ، كان ذلك في ١٩٧٣ .. واليوم تحتل البرازيل المركز السادس بين الدول المصدرة
للسلاح ، وحجم صادراتها في هذا العام يقدر بألف مليون دولار ، (ولا أرقام متاحة حتى
الآن عن حجم الاتفاق السعودي — البرازيلي من الناحية المالية ولذلك فهو غير مدرج في
احصائيات هذا العام) .

والبرازيل تنتج حاليا مقاتلات نفائة بسرعة تفوق سرعة الصوت ، وطائرات تدريب ،
ودبابات خفيفة وثقيلة ، وزوارق حراسة ، قنابل ، وألغام ، ذخائر ، صواريخ ، وأطقم
اطلاقها .. وكلها مصنعة في البرازيل .. أما الهاوي الذي رفض القاء دبابته في البحر ،
فيمتلك الآن صناعة يعمل فيها عشرة آلاف عامل وأحدث تحدياته دبابة زنة ٤٢ طنا ينافس
بها الدبابة الأميركية M — ١

باختصار اذا كانت كل القوى المسيطرة أو المؤثرة على العالم الثالث ضد صناعة سلاح
وطنية ، وبالذات ضد صناعة سلاح عربية ، فن حقا أن نقول أن قرار اقامة هذه الصناعة ،
كان مفاجأة تاريخية ، وقعت في لحظة صفاء نادرة ، اقترن فيها برج الحمل مع برج الأسد ،

فكان هذا القرار الاستقلالي لتحرير الارادة العربية وتحطيم احتكار السلاح فعلا لا تروى ولا دجلا .. ولكن لأنه كان مخالفا للقوانين التي تحكم القرار العربي ، معارضا للمصالح الاستراتيجية العليا للدول الكبرى ، فقد كان من الطبيعي أن يقع التآمر عليه ، ولو كنا لانزال في مرحلة افتراس الذات ، لسودنا المجلدات في تحديد المسؤولية ، ولكن المهم الآن هو استئناف مسيرة هذا القرار التاريخي .

ومن الحقائق غير المعروفة للقارىء العربي ، انه رغم كل الصعاب والتعثر ، فقد نجحت الصناعة العربية للسلاح التي قامت في مصر ، وقطعت شوطا بعيدا في ارساء قواعد لها ، واصبحت مستعدة للانطلاق أو Take off كما يقولون ، وظهرتخوف القوى العالمية ، فقد كتبت صحيفة اميركية في ١٨ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٨٤ تقول :
« المصريون سيصبحون اكبر منتج للسلاح في الشرق الأوسط (لاحظ الشرق الاوسط كله » .

« فهم يشترون خطوط انتاج كاملة من الشركات العالمية ، لانتاج الأسلحة الصغيرة والذخيرة ومدافع الموتر والميدان ، وطائرات الهليكوبتر ، حتى قال سمسار سلاح فرنسي :
« ربما خلال خمس سنوات سنحمل حقائبنا ونرحل نهائيا من الشرق الأوسط ، لأن المصانع المصرية ستسد حاجة السوق » . وقال « سيرج داسو » ابن « مارسيل داسو » مصمم الميراج : « ان مصر ستستمر في التوسع كسوق للتكنولوجيا الغربية في صناعة السلاح » .
واكد « داسو » : « أن المشاريع المشتركة مع مصر تشكل استثمارا ناجحا ، وانه يعمل حاليا في مشروع مشترك للدفاع الجوي ، يعتمد على مدفع مصري (سوفياتي الأصل وادخلت عليه تحسينات مصرية » واليكترونيات جوية وأجهزة رادار » .

هذا وكانت الولايات المتحدة — ذاتها — قد اتخذت قرارا في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٢ بالسماح لمصر بتصنيع وتركيب الطائرة ف ٥ وأيضا — ف ١٦ والحق في بيعها لدول الخليج الصديقة .

ولم تكن هناك مشكلة الا التمويل الذي لا ندري ماذا حدث فيه .

وكل صناعة وطنية تبدأ بمثل هذه المشاركة حتى تتمكن فتستقل .. وبالطبع لا يمكن لمصر ، ولا مصلحة لها ، في الانفراد بهذه المهمة القومية ، والهدف الاستراتيجي الذي لا جدال في ضرورته وفائدته للعرب ، ولولم يكن من نتائجه الا خلق منافس عربي لصناعة السلاح الاسرائيلية في اسواق العالم الثالث ..

واذا كانت مصر تمتلك المعرفة والخبرات واليد العاملة ، والأمن اللازمة لقيام هذه

الصناعة ، فهي تفتقر الى التمويل ، الذي لا يمكن أن يكون الا عربيا .. والذي يمكن ان يقدم عائدا ماديا مجزيا الى جانب العائد القومي ..

ومن المؤكد ان رأس المال العربي له شروطه ، وله اعتراضاته ، وله تجاربه السيئة ، ولا يمكن انكار اخطاء وعيوب السياسة المصرية والادارة المصرية ، ولكن هذه كلها من العقبات أو المشاكل التي يجب حلها ، لا التي تصدنا عن الانتاج ، أو تلغي مثل هذا المشروع الأكثر من حيوي ..

تستطيع الدول العربية ، تطوير صناعة السلاح العربي في مصر ، وتستطيع ان تشتري مائتاه معقولا لضمان استقرار وتقدم هذه الصناعة ، ويمكن تشكيل مؤسسة عربية لادارة وتوجيه هذه الصناعة ، ويمكن اكتشاف وسيلة لادخال المواطن العربي كمساهم ، وخصوصا الذين رحلوا البنايين من سمسرة السلاح ... (أستغفر الله العظيم .. احنا قلنا بطلنا .. ساحونا) .

لأظن ان هناك حجة واحدة يمكن ان تبرر الاحجام عن دعم صناعة السلاح العربي وتطويره ، أو التشكيك في ان المكان الطبيعي لهذه الصناعة هو مصر .. ولا ينسى العرب ان طائراتهم من الميراج والفانتوم ، ليست فقط معروفة لاسرائيل بل وقاتلت بها اسرائيل .. أما الميغ ، فقد تدرب عليها الطيارون الاسرائيليون بنجاح .. ومن ثم فلا مجال للحديث عن اطلاع اسرائيل على صناعة السلاح في مصر ، فما من دولة مهما كانت علاقاتها ودية مع دولة اخرى تسمح لموظفي سفارتها بالاطلاع على صناعة السلاح فيها .. وليس في اتفاقية « كامب ديفيد » مادة تنص على تبادل المعلومات عن صناعة السلاح ، أو تمنع مصر من انتاج أي نوع وتزود أي جيش عربي به ..

ان المال العربي يتآكل في بنوك العالم في ظل التضخم ، ومعرض لكارثة مع انهيار سعر الدولار ، أو افلاس البنوك ، فسحب جانب منه ، واستثماره في صناعة السلاح العربية القائمة فعلا ، والقابلة للتوسع ، هو قرار حكيم يجب أن يتخذه العرب .. لنطوي صفحة الماضي الحافلة بالأخطاء .. وصلوات الله على القائل « السيف محاء الخطايا » ..

أنتجوا السيف يا عرب .. فقد يأتي يوم نستخدمه فيه ! ١ .

« .. لا يشكل الدولار مرفأ الأمان ، ولا البنوك الأميركية هي حصن الخائف ولا النظام السياسى الأمريكى يضمن تأمين بنوكه والمدخرين فى هذه البنوك ولو أقدمت أمريكا على ذلك فمعناه ضياع المال العربى والحكومى .. »

[illegible]

مع انخفاض دخل النفط والمخاطر التي تواجه الاوبك بقدوم الصيف ، وقرار بريطانيا ترك سعر نفطها يحدده العرض والطلب ، وعدم التقييد باتفاقيات الاسعار التي تضعها دول الأوبك ، وقرار الجزائر المنفرد ، خفض سعر نفطها ، وتزايد حاجة ايران لتصريف نفطها بأي ثمن ، ومن غير تقييد بحصص الاوبك مع هذه التطورات يتساءل العربي ، هل الاستثمارات أو المال العربي في الخارج في امان .. باعتبار أن هذا المال هو خط الدفاع الثاني بعد النفط ؟ ! .

وهذا السؤال يطرح عدة قضايا

هل الدولار يمثل فعلا شط الامان أو المظلة التي تحتمي تحتها العملات والدخول والمدخرات ؟ !

هل النظام المصرفي العالمي أو النظام المصرفي الاميركي بالذات ، في وضع يطمئن ويوحى بالأمان ؟

وهل الهروب الى الذهب يكفل هذه الحماية المطلوبة للمدخرات العربية ؟ ..

ويمكن اختصار هذه الاسئلة كلها في كلمة واحدة .. او في لاءات ثلاثة اكثر قوة من لاءات الخرطوم الشهيرة التي لم يتمسك العرب أو بعضهم بواحدة منها ! ..

فالدولار بدأ رحلة الهبوط ، وليس الخيف في الامر هو الهبوط ، لان هذه دورة معروفة في العملات العالمية ، وكما قال مدير بنك انكلترا « كل ما يرتفع لابد ان يهبط » وهم يقدر ان الدولار اعلى من قيمته بأربعين في المائة ، ولا بد من ان يهبط الى ما يقارب قيمته الحقيقية ، ومشكلة الدولار انه لا يعكس الوضع الحقيقي للاقتصاد الاميركي الذي لا يشير بالقدرة على الاستمرار في فرض الدولار كعملة عالمية صحية ، وانما يرجع ارتفاع الدولار في الفترة الماضية الى عاملين :

الاول وهو الالهم ، ارتفاع نسبة الفائدة التي تعطي على الودائع بالدولار ، فقد وصلت الى عشرين بالمائة قبل مجيء ريغان ، ورغم كل ما قاله ضد الفائدة العالية ، فما زال الدولار يعطي فائدة اعلى من الفرنك والمارك الالمانى والفرنك السويسري ، والين الياباني ، بعكس كل الأعراف المصرفية ، اذ جرت العادة ان ترفع الفائدة على العملة التي ينخفض سعرها ، الا الدولار فقد استمر يرتفع سعر تبادله واستمرت الفائدة عليه مرتفعة ، وهذه الظاهرة اسباب عديدة لا مجال لشرحها هنا .

العامل الثاني ، هو قناعة المدخرين بأن النظام الاميركي هو الأكثر استقرارا في العالم الرأسمالي ، وهذا صحيح من الناحية السياسية ، ولكنه غير صحيح من الناحية الاقتصادية ، فهو نظام معقد متخلف ، يقوم على اساس غير سليمة تنهشه من الداخل فئات عريضة طفيلية لا تقوم بعمل انتاجي حقيقي ، وتنال اكبر شريحة من الدخل القومي ، مثل المحامين والمعلمين والعاملين في تجارة المخدرات ، وقد ثبت أن محصول الحشيش في كاليفورنيا يحقق اعلى دخل نقدي بين محاصيل الولاية ، وحجم تجارة المخدرات الوطنية والمستوردة ، يفوق دخل اية صناعة اخرى ، والجهاز القانوني يشل حركة الاقتصاد ، ويحول البلد الى جماعات وافراد متصارعة تحاول الحصول عن طريق المحامين على مالا تقوى على الحصول عليه بالعمل أو الانتاج .. والولايات المتحدة تضم اعلى نسبة من المحامين ، بينما تضم اليابان اعلى نسبة من المهندسين ، وهذا وحده يعطي فكرة عن طبيعة الاقتصاد الاميركي وضعفه في مواجهة الاقتصاد الياباني .

وهذا الاقتصاد يحتاج الى تجديد قطاعات واسعة من الانتاج مثل صناعة الصلب ، وصناعة السيارات ، والسفن ، بل حتى صناعة الطائرات ، وما زالت كل هذه الصناعات تفكر في الحماية الجمركية كوسيلة لحل مشاكلها بدلا من تجديد معداتها واسلوب انتاجها .

والاقتصاد الاميركي يمكن الحكم عليه من تحول الحكومة الى اكبر مدين في العالم بميزانية تواجه عجزا يدور حول مائتي الف مليون دولار ، ودين قومي وصل الى ٢ مليون مليون دولار!

واستقرار النظام السياسي الاميركي لا ينعكس على الاموال المدخرة في البنوك الاميركية ، بل بالعكس قد يكون من عوامل استقرار النظام السياسي ، اجراء هزة للنظام المصرفي ، تخلصه من المغامرين والطفيليين والهواة ، الذين جاءوا مع الفيضان المالي في السبعينيات ، وايضا اعطاء سمك القرش الكبير ، فرصة التهام المدخرات الاجنبية ، ومدخرات البورجوازية الصغيرة ، أو صغار المستثمرين الاميركيين فوق المائة الف دولار

المضمونة في البنك المركزي الاميركي .

اما بالنسبة الى الحكومات ، فان المتشائمين يحذرون دائما مما اصاب الاموال الايرانية ، اذ جمدتها الولايات المتحدة ، ويقولون ان هذا ممكن حدوثه مع اية دولة . و يظنون انها اول مرة ، وينسون ان اميركا وبريطانيا وفرنسا جمدت الارصدة المصرية في حرب ١٩٥٦ .. وان التجميد الايراني شمل حتى أموال الافراد ..

لهذه الاسباب لا يشكل الدولار مرفأ الامان ، ولا البنوك الاميركية هي حصن الخائف ، ولا النظام السياسي الاميركي مهما كان استقراره يعني بوليصة تأمين لصالح بنوكه والمدخرين في هذه البنوك .

اما عن البنوك الاميركية ذاتها ، فهي ليست في وضع تحسد عليه ، ومنذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٣ لخص « جوهانس و يتفين » المدير السابق لصندوق النقد الدولي ، وضع هذه البنوك بقوله : « نظامنا المالي في حالة مخيفة » .

وسبب هذا الرعب من النظام المالي العالمي ، الذي يتركز بالطبع على النظام المصرفي ، وأعمدته هي البنوك الاميركية ، أو بالأحرى البنوك العشرة الكبرى .. هو ان هذه البنوك خلال السبعينيات توسعت في اقراض دول العالم الثالث ، ولا سيما اميركا اللاتينية ، وبفوائد فاحشة لا يتحملها اي اقتصاد ، ولكن هذه الدول اما كانت تعيش في وهم الدخل النفطي مثل المكسيك وفنزويلا ، أو تحت الحاجة الى التنمية المباشرة مثل البرازيل التي كانت تنجز ثورتها الصناعية ، بلا مستعمرات ، فلم يكن امامها من مصدر لتمويل عملية التصنيع الناجحة وقتها - الا الاقتراض ، وبشروط البنوك الاميركية المرابية ، واليهودية الفلسفة والمنهاج ، واما دول لم يكن أمامها من وسيلة أخرى للتمويل سواء للداخل او للحروب الا الاقتراض .. مثل الأرجنتين وتشيلي .

وكانت النتيجة ان هذه الدول الخمس : البرازيل والأرجنتين والمكسيك وفنزويلا وتشيلي مجموع ديونها يعادل مرة ونصف المرة مجموع الاصول للبنوك العشرة الاولى في اميركا .

وهذه الديون مشكوك في القدرة على تحصيلها ، بل ان اليقين من استحالة تحصيلها اقوى بكثير من الامل في سدادها . والاجتهادات الآن ، هي في اكتشاف الوسائل ، التي تمكن هذه الدول من استمرار دفع الفوائد ، هذه الوسائل الجهنمية ، التي جعلت دول العالم الثالث تدفع للدول الغنية اكثر مما تأخذ منها . فالبنوك العالمية ، توقفت عن اقراض دول العالم

الثالث ، بل تحولت هي الى مدينة ، فقد جاء في تقرير مصرفي ، ان بنوك اميركا اقترضت من خارج الولايات المتحدة في العام الماضي ١٤,٦ مليار دولار اكثر مما اقرضته وهذا طبيعي لتغطية العجز في ميزان المدفوعات . وقد ادى هذا الى هبوط الاصول الاجنبية للبنوك الاميركية بحوالي ١٥ الف مليون دولار فأصبحت في كانون الثاني (يناير ١٩٨٥) ١١٥,٨ مليار دولار .

ومع ارتفاع اسعار النفط والجفاف ، والكساد الاقتصادي الذي لم يتخلص العالم منه الا منذ أقل من عام ، لا يبدو ان دورة الانتعاش ستستمر طويلا ، ولا يجوز ان ننسى ان النظام الرأسمالي العالمي لم يخض حربا شاملة منذ أربعين سنة ، وهذا مرض قاتل لهذا الاقتصاد الذي يعيش على نظام الازمات الدورية ، بشرط وقوع حرب كل جيل تعطيه دفعة حياة جديدة ، لانها تشكل اكبر عملية استهلاك اتلافي ، لانتاج يقوم على الاستهلاك ، ويزدهر بالاتلاف .. نقول انه مع هذه العوامل ، عجزت دول العام الثالث عن تسديد ديونها التي اخذت تتزايد فارتفعت في العام الماضي بنسبة ٣٣ بالمائة وذلك من ٦٠٨ (آلاف مليون دولار) الى ٨١٠ (آلاف مليون) ، والسبب هو عمليات الثلاث ورقات التي تلجأ اليها البنوك ، باستبدال الديون الواجبة الدفع بديون طويلة الاجل ورفع الفائدة ، وفرض غرامة ، ورسوم وعمولة .. (هذه الدول المدينة مجبرة على دفع ٤,٥ ٪ زيادة عن سعر الفائدة في السوق) .

ومنذ ١٩٨٢ اعلنت ثلاثون دولة عجزها عن دفع اقساط مستحقة تصل قيمتها الى مائة الف مليون دولار . ومع تناقص الاستثمارات الخارجية ، ونقص الصادرات وتدهور قيمتها ، باتت دول العالم الثالث تدفع ما بين ٤٥ الى ٤٨ بالمائة من صادراتها لخدمة الديون ، والنسبة الطبيعية لا يجوز ان تتجاوز ١٢ بالمائة . وهو وضع يستحيل الاستمرار فيه ، وهو بالطبع نتيجة النظام الاستغلالي العالمي ، الذي يقوم على تبادل خامات دول العالم الثالث ، بمنتجات الدول الصناعية ، بموجب ما يسمونه « السعر العالمي » وهو سعر غير عادل ، وغير حقيقي ، وغير ثابت ، تحدده الدول الغنية بحكم تفوقها ، وهو يقوم على « نهب » « حر » لمنتجات العالم الثالث يجعل نسبة الخامات الى السلع الصناعية ، غير مجزية ، ورفعها باستمرار لصالح الدول الصناعية .

وصحيح ان البنوك التي تقاضت فوائد تدور حول العشرين بالمائة ، قد حصلت قيمة ديونها في خمس سنوات ، وهي من الناحية العملية ، تحصل الآن دخلا فائضا عن هذه الديون ، ولكنها تثير الدنيا بحجة عدم تحصيل ديونها ، واذا ما انهارت دول العالم الثالث ، فإن

البنوك العالمية، لن تقول لقد حصلنا مادفعناه وربما أضعاف ما حصلناه، بل ستحمل الخسارة للمودعين بالامتناع عن الدفع أو الإفلاس الاحتيالي ..

واغرب ما سمعت من اقتصادي كبير، ان هذه التفليسة ربما تكون الحل الوحيد للامزمة العالمية، اذ لا يخفى خطر اعتصار دول العالم الثالث المدينة، فبعض الحكومات يرفض الاجراءات الاقتصادية المطلوبة، والتي لاتعني اقل من اجاعة شعبها لتتمكن من دفع الفوائد عن ديون دفعت قيمتها اكثر من مرة، للمساهمين في بنوك اميركا وبريطانيا وفرنسا .. وبعض الدول التي سترضخ لهذا الاعتصار، مهددة بالثورات والانقلابات أو الفوضى السياسية والاجتماعية، وهذه قضايا وان كانت لاتعني البنوك الا ان الحكومات الغربية الكبرى لا بد من ان تحسب حسابها، ومن هنا يبدو ان الحل الذي يجنب العالم ثورة الدول الفقيرة، هو اعلان افلاس عام فتمتنع هذه الدول عن الدفع، وتسقط ديونها، وبالمقابل تمتنع البنوك العالمية عن دفع المدخرات التي تدين بها لعملائها من الحكومات والافراد ...

وبشيء من التأمل الجريء، تجد ان الدول الكبرى وخصوصاً الولايات المتحدة، بل حتى النظام المصرفي فيها لن يخسر كثيراً فجميع المدخرات الاجنبية يعادل القيمة الحقيقية للديون ان لم يفقها .

لواقدمت الولايات المتحدة على تطبيق هذا الحل، فعناه ضياع المال العربي الحكومي والفردى، مع العلم ان الحكومة الاميركية لاتضمن الا مائة الف دولار كحد أقصى وللمدخر في بنوك اميركية داخل الولايات المتحدة، حتى البنوك الاميركية التي تعمل أو تتخذ مقراً سوريا في جزر تعفيها من القانون الاميركي غير محمية .

وليست البنوك البريطانية ولا السويسرية افضل حالا، والذين يظنون أن اموالهم في سويسرا في امان، يعيشون في الاوهام، فأولا كل حساب بالدولار معروف باللميم والسنت لدى مصلحة الضرائب الاميركية، وكل حساب بالدولار مرتبط بأوضاع البنوك الاميركية، لانه يستثمر عبرها، ويصب فيها ومنها .. وكل ما يحققه المودع في سويسرا، هو خسارة خمسة بالمائة على الاقل بواسطة ألاعيب الفروق في السعر، والعمولة، والفرق بين موعد الايداع وموعد احتساب الفائدة، واشترط مدة بين التجديد وموعد التحصيل .. وفي النهاية فما اكثر الاموال التي ضاعت بوفاة مودعها، ورفض البنك السويسري تسليمها للورثة .. ان بنوك سويسرا تنظر الى المودع، أي مودع، كمشبوه يحمل مالا مريب المصدر.

أما البنوك العربية، فهي ليست بمنجاة من العاصفة العالمية بعد التوسع الهائل الذي اجتذب الهواة والمغامرين خلال محنة النفط، حتى أصبح من كان لا يملك دفتر شيكات يملك بنكا، وحتى وصف أحد البنوك الذي فتح فرعاً في كل شارع بأنه ينافس «ويمبي» أو محلات الفول «والطعمية»، ويكفي أن نعرف أن دولة الإمارات قام فيها ٤٩ بنكا لها ٣٤٧ فرعاً أي أكثر من عدد العائلات! ..

وقد هاجرت البنوك العربية للخارج فأصبح للعرب عشرون بنكا في نيويورك أكبرها البنك العربي - الأميركي وأصوله تصل إلى ١٢٢٧,٤ مليون دولار وآخرها بنك عوده الذي يربح خمسة آلاف دولار في الشهر أي مرتب موظف أو محرر في أوسع الجرائد العربية انفاقاً!! وللغرب ٣٤ بنكا في بريطانيا وقد نصح مدير البنك المركزي في بريطانيا، البنوك العربية - على ذمة وول ستريت جورنال ٨٤/١٠/٩ - «بأنه يستحسن أن يستخدموا الأساليب الحديثة في الإدارة الحديثة، ويحتفظوا بدفاتر سليمة» ومع ذلك فإننا نعتقد أن البنوك العربية، تعد في وضع أفضل نسبياً، لو استطاعت أن تنفصل بطريقة ماعن المجري العام للنظام المصرفي العالمي.. وهناك ما لليون عرب أثبتوا كفاءة في إدارة بنوك في قلب أميركا.. وبنك فيرست شيكاغو، استطاع أن يحقق تقدماً كبيراً في ظل مديره العربي الاصل.. وأكبر حصة فردية فيه يمتلكها عربيان.

ولكن الطوفان لو جاء فلن ينجوا إلا من ركب سفينة نوح.. وقد يظن بعضهم أن الذهب هو سفينة نوح، وقد احترقت أصابع الذين ضاربوا عليه، فقد انخفض من ثمانمائة دولار للاونصة في أيام مجد السبعينيات، إلى الثلاثمائة دولار، ويقدر حجم الذهب في العالم بثلاثة آلاف مليون اونصة، وهي تزيد بنسبة ١,٥% سنوياً، فإذا وضعنا في الاعتبار معدل التضخم العالمي، لانجد مبرراً لانخفاض سعر الذهب بهذه النسبة الخفيفة والمريبة، ففي خلال السنوات الخمس الأخيرة انخفض سعر هذا الذهب ١,٥ تريليون دولار، والتريليون هو مليون مليون دولار..! أو ما يفوق دخل دول الأوبك مجتمعة في هذه الفترة!.. والسبب هو المضاربات التي تهدف إلى نهب أموال صغار المستثمرين من الحكومات والأفراد، وقد بلغت خسارة بنك إسلامي من المضاربة على الذهب حداً أكل أرباحه.. وكلها ألاعيب النظام المالي الذي تسيطر عليه الرأسمالية العالمية وعلى قتها أميركا واليهود.

باختصار إن المال العربي في الخارج وخصوصاً السائل ليس في الحفظ والصون.. فما الحل؟^١

[illegible]

فَكُنْ لِلنَّوْشَاءِ أَمِيكُ أَرْفَعُ رَأْسِي
الْبَيْضَاءُ فَتَأْسَعُوا فِي أَوْدِييَ وَاصْرِبُوا
لِهَذِهِ الْمَعَارِكِ لَسْتُ أَخْشَى خَوْفَهَا
مَنْ ذَا يَحْكُمُ وَالْغَرِيمُ الثَّغْلَبُ
وَمَنْ الْمُخَايِلُ وَالسَّلَاحُ دَسِيسَةٌ
وَمَنْ الْمُكَافِيحُ وَالْعَسْكَرُ الْعَقْتَرِي
كَأَنَّ الرُّجُومَ أَنْ يَكْدُ بَحْسَ سَيْفِهَا
فَتَدْيَغْلِبُ الْمُقْتَدِمُ سَاعَةً يُغْلِبُ
فِي الْفَجْرِ تَحْصِنُ الْقَفَارُ رَوَاجِلُ
الْحَرِّ حِينَ يَرْمِي الْمَلَايِكَةُ يَهْزُبُ
وَالْعَفْرُ أَكْبَرُ لَا يَفِيضُ عَمَلَاؤُهُ
عَيْنًا - وَيَصْنَعُ لِلنَّوْشَاءِ قَيْمًا

سَمِعْتَهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَصَابِدُهُمْ مَجْرُورَةٌ
فَالْمُتَأَدِّ حَوْرُوكَ الْجَاثِعُونَ بَنَاهُ بُولَا
دَعَاؤِي الْوِدَادِ تَجْوُوكَ فَنُوقَ رِشْمَاهُمْ
أَمَّا الْمَلُوبُ فَجَاءَتْ فِيهَا أَشْغَبُ
لَا يَسْتَوِي وَكَلَّمَ بِمُلْغٍ وَرِشْمُوكَ
وَرِشْمَاهُ بَدَمُ الْمَحَاجِرِ تَضَكُّتُ
بَنَاهُ شَاعِرُ الدُّنْيَا... بِصَلْتِ ظَهْرَهَا
شَغْرِي... يُشْرِقُ عَنْهَا وَيُغْشِي رَجَبُ
بَنَاهُ شَامِرُ الْأَفْئَالِ إِ... كُلُّ كُلِّ مُمَّةٍ
يَتِي... عَلَى شَفْقِ الْخُلُودِ كَتَبَتْ

الفهرس :

• خطبة الكتاب ..

المقالات التي طرحت قضية الخلاف والتحالف المصري - السعودي وما أثارته من أزمة ٥

• فتش عن كسينغر:

كشفت الوثائق الآن أن كسينغر كان المدبر لرفع أسعار النفط . الامة العربية تواجه العالم بمؤخرتها ! ... ١٣

• سر أوبك المشؤمة :

منظمة الأوبك قامت أساسا لمنع تعريب النفط وكرد على مؤتمر البترول العربي الذي طرح شعار نفط العرب للعرب ٢١

• الفعل لأمرىكا والسب للعرب !:

ظهر النفط الليبي لضرب تأثير مصر على نفط الشرق الأوسط . دور المخابرات الأمريكية في ليبيا ، ودور كسينغر في رفع أسعار النفط في ليبيا وتحريض الشاه على رفعها ، بهدف إلغاء سلاح النفط العربي ٢٩

• العربي القبيح يفوح نفطاً !:

مال النفط مما أثار الطيب الذي صنعه العيون ، وأثار الدول الفقيرة ضد العرب ، ومزق وحدة العرب المجاعة النفطية أكذوبة روجتها الأجهزة الأمريكية - مشكلة القيادة السعودية بعد تولي خالد ٤١

• .. وفشلت سياسة السعودية :

الاستراتيجية النفطية للسعودية كانت سليمة ولكنها افتقرت لقوة التنفيذ - الجاني توقع انهيار الأسعار وتراجع دور الأوبك والسعودية بالذات ، المؤامرة على آل فهد تسترت خلف خالد الذي كان يكره مصر ٤٩

• حتى أنت يا كويت ؟ ! :

بين طلعت حرب وعبد الله بالخير. التلاحم المصري - السعودي ضرورة قومية وسعودية ، مصر غير مسئولة عن قطيعه اليوم . الذين يبعدون السعودية عن مصر يتآمرون على النظام السعودي . المجند السعودي يتكلف ثلاثمائة ألف دولار في السنة . ميزانية الدفاع في اسرائيل ٥ مليارات وفي السعودية ثلاثين ملياراً ! .. الكويت تتحدى السعودية وترفض مشاريعها للأمن . لماذا تنتج دولة الامارات نفطاً أكثر من العراق ؟ ! ٥٥

• اهدار المال خارج الوطن :

خطط التنمية التليفزيونية . فضيحة بورصة سوق المناخ . الكويت تتعهد بعدم الالتزام بقرارات المقاطعة العربية لماذا تمول الكويت مصانع للسيارات في البرازيل وليس في بلد عربي ؟ ٦٥

• خير أجنبي لطبع المصحف ! :

خير أجنبي لطبع المصحف في أرض التنزيل ! الشركات الغربية ترشو وتخدع عرب النفط . حكاية عقد التليفونات - شركة « وايتكر » حصلت على ١٤ ألف مليون دولار . ثمانون بالمائة من تكلفة مشاريع الخليج تنفق خارج الوطن ٧٣

• ضرورة الحلف المصري - السعودي :

السعودية المتضرر الأول من انهيار الأسعار ، وهي القوة القادرة على ضبطها . تعريب النفط هو الحل ، كمال أدهم حاول خلق محور المصري - السعودي فاحترق . مصالح السعودية النفطية تصبح أكثر ارتباطاً بمصر . لماذا اختارت السعودية البعد عن مصالحها مع مصر وارتبطت بالمتطرفين ؟ .. صحفي كويتي يبيع للملك فهد تسجيلاً على السادات . تصريحات سعودية لا مبرر لها ٨١

• لماذا البرازيل يا أمير ؟ :

اختفاء اللواء عبد الله خليفة . صفقة القرن مع البرازيل . تمويل صناعة السلاح البرازيلية لا يخدم تصنيع العرب للسلاح . صناعة السلاح متقدمة ومتفوقة في مصر وأكثر ملاءمة للقدرات العربية ٨٩

• الكرامة من حجيلان للقصبي :

السعودية هي المستهدفة من حرب النفط . تغيير صيغة إنفاق العائدات . ٣٠٠ مليون ريال ثمن قصر سمسار متجنس ! .. الأمراء الأحرار ثاروا على الخروج عن خط عبدالعزیز في مخالفة مصر . تطلعات الطبقة الوسطى . مشقوا الخمسينيات وقيادات الستينيات .. ضرب حجيلان فلم يفضب . وشكا القصبي الجفاء فاستقال بقصيدة مدوية مجلس الشورى العتيد هل يظهر ؟ ٩٥

• الملاحق

• نص استقالة القصبي الشعرية

صدر للمؤلف

١٩٥٠	مصريون لا طوائف
١٩٥١	الجبهة الشعبية
١٩٥٢	قانون الأحزاب
١٩٥٧	روسي وأمريكي في اليمن
١٩٦٠	شرف المهنة
١٩٦٤	الغزو الفكري
١٩٦٥	الماركسية والغزو الفكري
١٩٦٦	القومية والغزو الفكري
١٩٦٦	الحق المر
١٩٦٦	دراسة في فكر منحل
١٩٦٧	الطريق الى مجتمع عصري
١٩٦٧	أخطر من النكسة
١٩٦٨	النكسة والغزو الفكري
١٩٦٨	ماذا يريد الطلبة المصريون
١٩٦٩	إيلي كوهين من جديد
١٩٦٩	الجهاد ثورتنا الدائمة
١٩٧٠	الثورة الفلسطينية
١٩٧٠	طريق المسلمين للثورة الصناعية
١٩٧٠	ماذا يريد الشعب المصري
١٩٧٠	ودخلت الخيل الأزهر
١٩٧١	التنازل الفكري
١٩٧٤	كلام لمصر
١٩٧٥	مغربية الصحراء
١٩٧٥	وقيل الحمد لله
١٩٧٦	منايع ثورة مايو
١٩٨٠	السعوديون والحل الاسلامي
١٩٨٤	خواطر مسلم في المسألة الجنسية
١٩٨٥	خواطر مسلم : (الجهاد - الأقليات - الاناجيل)
١٩٨٥	كلمتي للمغفلين
١٩٨٥	انهم يبيدون الاسلام في بلغاريا
١٢٧	